

# نقطة ضعف

رواية في الخصوصية



تأليف: د. عايض القحطاني

دولة الكويت

2017

نقطة ضعف  
رواية في الخصوصية

تأليف: د. عايض القحطاني

دولة الكويت 2017



## نقطة ضعف

رواية في الخصوصية

رواية تناقش موضوع الخصوصية للأفراد في ظل عالم مليء بتكنولوجيا التصوير المرئي بالغ الدقة. الرواية فلسفية من الطراز النخبوي تدور أحداثها في هاواي بين موظفة أمريكية كانت تعمل في جهاز سيادي وظيفتها مراقبة الطلبة الأجانب في الجامعات الأمريكية، مع عبدالله طالب دراسات عليا سابق. على شكل اعترافات متأخرة، تبوح شارلوت بأسرار وطرائق مراقبة كامل حياة عبدالله الشخصية خلال فترة مكوثه في الولايات المتحدة الأمريكية. مستغربا عبدالله من حجم المعلومات التي تكشفها شارلوت، الرواية مليئة بالحوارات المثيرة بين الاثنين.





# 1

« أنا أعرف أن من يخرج شياطين الرجل من داخله هو جسد المرأة».

بهذه العبارة تعرفت "شارلوت" على "عبدالله"، حينما كان مطلقاً العنان لنظراته غير البريئة إلى حسناء في المؤتمر العلمي الذي يحضره في هاواي.

-بيدو أنك تعرفين الكثير عن نقاط ضعف الرجل؟

ممازحاً للتعرف عليها وهي تجلس في الطاولة المقابلة  
وحيدة بلا زملاء، ييادرها عبدالله بالسؤال :  
-أيمكنني الجلوس هنا إن كنت لا تمنعين؟

-اجلس، بالطبع لا أمانع فأنا أعرفك جيداً !  
استغرب عبدالله من جرأة هذه المرأة التي تكبره  
بسنين، والتي بدأت تتسابق سنوات شيخوختها على  
ملامح وجهها، وعلى ما يبدو أنها كانت تتمتع بجمال مبهر  
في شبابها، لكنه مع استغرابه هذا، احترم الأنوثة التي  
بدت عليها، تلفت نظره المرأة التي تظل أنثى مهما طال  
بها الزمن، لا تتكئى على نكد فوات عمر الشباب.

-لقد كنت أشرف على مهمة مراقبتك طوال فترة  
وجودك في الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة  
دراساتك العليا، ولا تتصور كم المعلومات وأكوام

التسجيلات الصوتية والمرئية التي نملكها عن حياتك الشخصية!

كان لتلك الكلمات السريعة وقع السوط على رأس عبدالله، لانتقال الحديث من موقف عابر إلى كلام خطير يقتحم حياته الشخصية ويفتح صفحات ماضٍ لظالما كانت مطوية.

-إني أكرهكم أيها الرجال، تزدادون جمالا ووقارا مع

الوقت، كنت معجبة بك أشد الإعجاب !

لقد أشرفت على ملف فيه كل تفاصيل حياتك، ربما

يستغل في أي وقت لابتزازك إذا دعت الحاجة!!

بانهار لا يصدق، ينكمش عبدالله من وقاحة هذه

المرأة، وكمية الثقة التي تمتلكها وهي تتحدث إليه .. بهم

بمغادرة المكان ويجمع حاجياته عن الطاولة التي يجلس عليها. وبنبرة مستاءة يهمس بحدّة:

-إلى هنا أستميحك العذر سيدي، لقد تجاوزت حدود الذوق والعرف، وأعتذر عن إكمال الحديث معك لأنك فضولية جداً، أنتِ تحتاجين إلى مساعدة فيما يبدو!

-ستذهب حتى لو أخبرتك أن أكلتك المفضلة قبل عشرين سنة هي قطع اللحم المستوية جداً، وأن أسوأ عام مر عليك هو الذي توفيت خلاله أمك وأنت في منتصف رحلة دراسة الدكتوراه، وأنت لم تتورع عن كسر قلب ثلاث نساء في سنة واحدة كلهن كن يعتقدن أنك راغب بالزواج بهن؟! إنك فعلاً أغرب ملف مر عليّ من ضمن ملفات الطلبة الأجانب الذين كنا نراقبهم!

هنا عرف عبدالله أنها ليست عجوزاً مخبولة، اقتحم  
الوقت خريطتها الذهنية، وإنما تتحدث من منطلق  
خطير كان دائماً يؤرقه عندما كان يدرس في الولايات  
المتحدة.

\*\*\*\*\*



## 2

راجعاً، بعد أن قرأ اسمها في ملصق على صدرها،  
 يذهب عبدالله ليجلس على الطاولة المستديرة الكبيرة  
 التي تجلس عليها مرة أخرى، والتي تتسع لثمانية  
 أشخاص، ابتعد كرسيين عن مكانه الأول! كأنه يتخذ  
 مسافة أمان ضد هجوم محتمل.

-شارلوت، من فضلكِ .. أعتذر منك، لكنني لا

أفهم ماذا تريدان..

-وأنا أيضاً أعتذر إليك، لا أريد منك شيئاً، كل ما أريده هو أن تسمح لي بقضاء وقتي الممتع هنا في هاواي معك، أن تكون قربي، لأنني ما زلت أشعر بالانجذاب الشديد نحوك، وسرني أن أراك في الولايات المتحدة مرة أخرى!

ابتسم عبدالله للطلب الغريب الذي يشبه سجاناً يشكو لسجين من الوحدة والأرق .

-كنت أشعر أننا مراقبون طوال الوقت في الولايات المتحدة، وأن خصوصيتنا مخترقة كطلبة أجنب، وهذا ظاهر ومعظمه مسموح به قانوناً. لكن ما الغريب في الأمر؟ ما الغرض من إخباري بهذه المعلومات؟

-لا شيء، قلت لك أريد أن أمضي وقتاً جميلاً معك هنا في هاواي، وما تفضلت به صحيح حتماً، إنها



حزمة من القوانين وليس قانوناً واحداً، وتحديث  
وتتطور بسرعة مع تطور وسائل التكنولوجيا الحديثة،  
لكننا لا نستخدمها أبداً في شيء لغير الغرض الذي  
وضعت له، وأنت تعرف هذا من قراءاتك الكثيرة  
عندما كنت تتصفح مواقع الإنترنت المهمة بالخصوصية  
والتي تحارب تدخل الحكومات في السعي وراء  
التلصص والتجسس على المواطنين.

-تقصد أنك كنت تعرفين كل شيء عن المواقع  
التي أتصفحها يومياً في داخل منزلي عندما كنت في  
أمريكا؟

-نعم، وكل شيء موثق بالثانية والدقيقة والساعة التي

زرت فيها كل موقع!

أنا لا أستبعد ذلك. لطالما اعتقدت أن « مجتمع الاستخبارات » في الولايات المتحدة بهيئته الـ 17<sup>1</sup> يسبق العالم برمته بنحو عشرين سنة تكنولوجياً وبحثياً. ومع ابتسامة وكلام تعلوه نغمة ضحك، يكمل :  
إذا لم يستطع مدير الاستخبارات المركزية CIA "دافيد بتريس" حماية نفسه من الوصول إلى أسراره ومحتويات بريده الإلكتروني الشخصي، فبالطبع أتوقع أن أي طالب مسلم - هو أصلاً محل شك وتهمة - حتماً لن يسلم من التلصص وجمع معلوماته على مدار الساعة!

---

United States Intelligence Community: <sup>1</sup>  
CIA, ODNI, OICI, I&A, CGI, INR, TFI, DIA, NSA, NGA, NRO,  
NASIC, NGIC, MCIA, ONI, FBI/NSB, and DEA/ONSI

-لا، ليس بالشكل الذي تتصوره. نحن نشدد المراقبة على أشخاص معينين فقط Person of interest ، لكن الجميع يخضع للمراقبة العامة!

وبالمناسبة، الطريقة التي كان يتواصل بها مع عشيقته كانت مستوحاة من طريقة إلكترونية يستخدمها الإرهابيون، وهي إنشاء بريد إلكتروني وكتابة رسالة من غير إرسالها، ثم إعطاء الطرف الآخر اسم المستخدم وكلمة السر ليفتح هذا البريد ويقرأ الرسالة، وبالتالي لا تُعترض الرسالة وهي في طريقها إلى بريد آخر!!

-لم أكن أشك أن "إدوارد سنودن" عندما جاء ليكشف للعالم بعض ما كنا نتوقعه من ممارسات التلصص التي تقوم بها المؤسسات الحكومية - لم أكن أشك يوماً - أنه أمر واقع، لكنني في الوقت نفسه لا

أعتقد أن ما قام به صحوة ضمير طارئة، وإنما صراع  
 جبارة، كان بين ال FBI وال CIA وال NSA.  
 ولطالما استمتعت خلال فترة مكوثي في أمريكا بالانتباه  
 إلى « صراع الجبارة» إن صحت التسمية، للاختلاف  
 على من سيحصد نصيب الأسد من الميزانية السنوية.  
 ويهزني السباق التكنولوجي الذي يحصل من الشركات  
 المتعاقدة مع الهيئات الاستخبارية، وكيف ساعد ذلك  
 في ظهور منجزاتٍ تكنولوجية جديدة، تأسر الأبواب،  
 وتسحر القلوب .. لا أنكر إيجابياتها على البشرية.

-هههه..

تضحك شارلوت بنصف ابتسامة على براءة عبدالله،  
 متحسرة على ما كانت تراه من تلصص مهيب على

حياته الخاصة. تركز عينيها نصف المغمضتين في عينيه  
وتقول بصوت عميق:

لم يظهر لك إلا قمة الجبل الجليدي! العامة لا  
يعرفون التكنولوجيا المتقدمة التي نعمل بها إلا بعد أن  
نتهي من استخدامها ثم نسمح بظهورها لهم بعد حين.  
وحين لا تلمح أي دهشة في عينيه السابجتين في الفراغ  
تفاجئه وبنبرة أعلى:

-كنا نجرب - في يوم ما - في منزلك، تكنولوجيا  
متقدمة جداً عبارة عن ذبابة مشابهة جداً للذبابة  
الحقيقية، بالحجم نفسه والشكل ذاته، تصول وتجول  
هذه الذبابة داخل منزلك وهي مزودة بكاميرا 360  
درجة، ولاقط صوت عالي الجودة، كنا باختصار  
نحتويك من كل جهة، كنت أرى تعابير وجهك وأنت

تقترب منها بعدما ضقت ذرعاً من وجودها معتقداً أنها  
 ذبابة حقيقية، تحاول ضربها وإخراجها من النافذة!  
 يتسم عبدالله، محدثاً نفسه بعدما عاد الحدث إلى  
 مخيلته جلياً كأنه يحصل من جديد .. إذا صدقت ظنوني  
 المجنونة التي كنت أحسبها جنون الشك والعظمة.  
 واعترف قائلاً:

-كنت دائماً أقول في نفسي من أنا لكي يتم التجسس  
 عليّ؟ لكنّ حديثك هذا يؤكد لي أننا لسنا سوى فئران  
 تجارب للمجتمع الاستخباراتي الذي تعملين معه ..  
 وحين لم تجب تابع بمناورة ذكية:

قلتِ إنكم لا تستخدمون المعلومات والتسجيلات  
 التي تحتفظون بها سوى للغرض الذي وُضعت من  
 أجله .. لمحاربة الإرهاب!؟

-نعم .. مشكلتك أنك في وقتها كانت تنطبق عليك الكثير من مواصفات «إرهابي محتمل». كنت طالب دراسات عليا في هندسة الحاسب الآلي، ومن منطقة جغرافية خرج منها «إرهابيون كثر»، ممن شاركوا في حوادث الحادي عشر من سبتمبر. فوق ذلك، كنت لا تزال عزبًا في وقت كان معدل عمر الزواج في البيئة التي خرجت منها أقل بكثير من عمرك. أضف إلى ذلك عاداتك الغريبة في حب التوحد، والقراءة، ودفاعك المستميت عن خصوصيتك. ثم إنه لم يكن لديك أصدقاء، تعشق العزلة، كنت أقرب لما نسميه في المجتمع الاستخباراتي «الذئب المتوحد»، الذي نتظر أن يهم بالهجوم، ولا نعرف متى يبدأ، ولمن ينتمي، وما توجهاته بالضبط. والذئب المتوحد هو

الإرهابي الذي يعمل من أجل فكر معين أو خدمة  
لمجموعة معينة، بصورة عنيفة ومخيفة، تصل إلى قتل  
العشرات أو المئات، بمجهود شخصي لا يتلقى فيه  
الأوامر من أي أحد. وهذا النوع خطير جداً، ففي  
الغالب يكون مشوشاً ويخاط الأوراق في العمل  
المخابراتي، وأحياناً يشعل حروباً كما الحرب العالمية  
الأولى.

زد على ذلك حبك للتصفح في مواقع تكنولوجيا  
التجسس الحديثة واهتمامك الكبير بأخبار المخابرات  
العالمية وممارستها، وحرصك الجلي على مشاهدة  
الأفلام التي تهتم بقصص التجسس، ومشاهدتك لفيلم  
«عين النسر» أكثر من مرة في كل عام!



-عجيب! أتم فعلاً تعرفون عني كل شيء! تعرفون  
 عني أكثر مما تحتاجون إليه. ماذا كنتم تفعلون؟  
 متهماً عبدالله من حجم المعلومات التي يجمعونها عنه،  
 هل كنتم تشاهدونه معي أيضاً في الوقت نفسه؟!  
 -لا طبعاً، أنت تعرف كيف نعرف! مجرد برمجيات  
 نضعها في حاسوبك الشخصي، تعطينا تحليلاً كاملاً لكل  
 حركة مؤشر على الشاشة، وضربة زر على لوحة  
 المفاتيح. في حالتك، اضطررنا إلى وضع كل جهاز  
 إلكتروني في البيت تحت المراقبة، لقد كنت شخصاً يجذب  
 مراقبته مراقبة مشددة.

-كنت لا أشك يا شارلوت أن كل ما جاء في «عين  
 النسر» صحيح، ويمكن تطبيقه، الحكومة بدعمها السخي  
 لشركات مثل «BoozAllenHamilton» وشركات

بضخامة «Lockheed Martin»، حتماً يمكن لها تطوير برنامج مثل البرنامج الذي كان يتحكم ويؤثر بحياة بطل الفيلم «Jerry Shaw» !

كان يجب عليك شارلوت أن تسأليني لماذا كنت أكرر مشاهدة الفيلم أكثر من مرة في كل عام؟ تجاهلت شارلوت السؤال لتعزف على الوتر ذاته الذي أرادت منه صعق عبد الله بكم المعلومات التي تعرفها عنه، فسألت متصنعة البرود:

-لماذا "أبدول" أو إن شئت دكتور عبدالله، فقد استحققت هذا اللقب بجدارة. أعرف كل ما مرتت به من عقبات في مرحلة الدكتوراه، والنزاع الكبير الذي حدث بينك وبين مشرف الرسالة الأول، والذي اضطرت حينها لتغييره .. لقد كان فعلاً شخصاً يصعب التعامل معه، ولم

يكن مقتنعاً بحقك في الدخول معه في البحث المشترك  
الذي كنت ترغب فيه، كان يعتقد أن ذلك يتعارض مع  
الأمن القومي لأمريكا .. مع أنه ليس أمريكي الأصل !  
و حين شعرتُ أن عبدَ الله لم يأبه كثيراً لما ذكّرتُه به أو  
بمعرفتها له؛ تابعتُ بصوتٍ راحٍ يفوح بحنانٍ أنثويٍّ  
صادقٍ:

-وبالمناسبة كان ذلك في العام نفسه الذي فقدت فيه  
أمك! كان ذلك العام فعلاً عام حزن بالنسبة لك. أليس  
كذلك؟

حقد بعينها وكأنه يريد تغيير الموضوع فبادرها قائلاً:  
-دعينا من الحديث عني واعرني سبب حبي لتكرار  
مشاهدة ذلك الفيلم، السبب يعود إلى الجملة التي كانت  
تشدني في كل مرة أشاهد فيها مشهدي المفضل من

الفيلم، ولا أتورع عن إعادته مرة بعد مرة. كان المشهد من حديث صوت البرنامج الذي صمم ليتجسس على كل مواطن ومقيم، بطريقة يمكن تطبيقها من وجهة نظر علمية:

هذا أنت «Jerry Shaw» : جملة من عمليات الشراء، المفضلات، كمّ من المعلومات المجمعة، نعرّفها على أنها أنت. نراقب كل موقع تواصل اجتماعي تدخله، كل ضربة زر على لوحة مفاتيح حاسوبك الشخصي، كل رسالة ترسلها من هاتفك النقال، كل معارفك وأصدقائك وعائلتك، نربطهم معك، نصل إلى كل بريد إلكتروني يرسل ويستقبل منك، كل ما تفعله في هاتفك الشخصي يخزن في قاعدة بيانات نصل إليها متى نشاء. نستخدم كل وسائل المراقبة المزروعة في أنحاء

البلاد وخارج البلاد، العامة والخاصة، لتحليل  
حركاتك، ونحصل على صورة دقيقة ليوميّاتك. نعرفك  
جيداً، نحن في كل مكان، نحن، شعب الولايات  
المتحدة الأمريكية.

كانت شارلوت تهزّ رأسها منتظرةً ثُغرةً في حديثه  
المتدقّق لتدخلَ منها من جديد، ووجدتها حين كان عبد  
الله يستعيد أنفاسه، وقبل أن يتابع قالت:

-أنا لا أنكر أننا نعيش في معركة أخلاقية مع أنفسنا  
ونحن نتجسس عليكم "أبدول"، ولا نتجرأ على الوقوف  
أمام النظام، لامتلاكه زمام الأمور، وللخوف الذي  
يزرعه فينا ليل نهار إذا فكرنا في نشر ما نقوم به أو  
تعريته.

قاطعها:

إذًا ما قاله السيد "سنودن" صحيح حين أفشى

النبأ للجميع؟!!

-ماذا قال السيد "سنودن" !

-قال : هم يستخدمون كل ما يجمعونه عنا لجعلنا

معرضين للهجوم في أي وقت. باختصار يوجهون

السلاح إلى رأسك ويقولون: لن أشد الزناد، ثق بي!

وقد صدق: ففي حياتك لابد أن تتعرض لخصوم

يفتشون في حياتك الخاصة، عن نواحٍ يستمدون منها

مادة لاتهامك بما لم ترتكب.

-لا أخالفه ولا أخالفك الرأي مطلقاً. نحن في الواقع

كنا نسأل أنفسنا عما إذا كان ما نفعله معكم - خاصة

أتم المسلمين - أخلاقياً أم غير أخلاقي.

-هل تعرفين «Henry L. Stimson» سيدتي

شارلوت؟

-لا، لم أسمع به من قبل، لكن الاسم لا يبدو غريباً

عليّ!

-السيد «Henry L. Stimson» هو وزير خارجية

الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس Herbert

Hoover وله مقولة شهيرة استهوتني يجب أن تفخروا

بها وتشعروا بالعار على فعل عكسها!

من خلال ملامحها المتحفزة لانتظار ما سيقوله شعر أنه

في معركته قد بدأ بالتحوّل من الدفاع إلى الهجوم،

وبكلمة أدقّ، من المهاجم إلى المهاجم وأكّدت له

شعورها حين أردفت:

-أستطيع القول إنك حصلت على كامل اهتمامي  
وإصغائي لك، أنا متشوقة لسماعتها.

-قال: "الرجال النبلاء لا يقرؤون رسائل الآخرين".  
وإن شدت، أُحدّث لك تلك المقولة. الدولة النبيلة لا  
تتصلص على كل العالم. نهم جمع المعلومات ومراقبة  
المجموعات الكبيرة جعلكم تبنون مركز «يوتاه» للمعلومات  
الذي يخزن معلومات العالم أجمع، ويستخدم أرقاماً  
عشرية لم يسمع بها الإنسان من قبل مثل  
«Yottabyte»، هذه الوحدة المخيفة التي تبين كمية  
المعلومات الرقمية التي تخزن في ذلك المركز.

-أولاً : جميلة هي تلك المقولة، لم أسمع بها من قبل.  
وثانياً : نحن دولة عظمى ولنا مبرراتنا، ولولا حادثة  
ميناء اللؤلؤ «Pearl Harbor» هنا في هاواي إبان



الحرب العالمية الثانية، وحادثة الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك، لما اضطررنا إلى فعل ذلك.

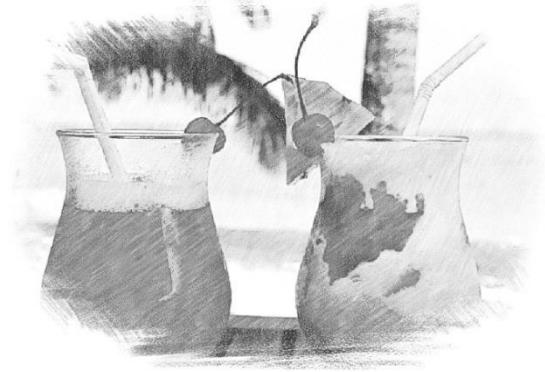
-لا تتحمسي كثيراً للمقولة السابقة، فقد غير كلامه بعد تسلمه وزارة الحرب خلال الحرب العالمية الثانية. قال: هناك أمور مقبولة في حال الحرب ليست مقبولة في حال السلم!

-أبدولا نحن لا نتجسس عليكم دون غطاء قانوني!  
-تقصدون أنكم تحصلون على إذن من المحكمة السرية لقانون ال «FISA» في الطابق السادس لوزارة العدل الأمريكية؟ أعتقد أن «إدوارد سنودن» قام بكشف الأذن التي تعطيها تلك المحكمة للتلصص على كل مشرقي شركات الاتصالات داخل أمريكا وخارجها!

على أية حال، أنا لن أخوض معك في مسألة  
«سنودن» فهو شأن داخلي بكم، أثق أن الشعب  
الأمريكي قادر على الانتفاع بما خرج به. كل غطاء قانوني  
تستخدمونه في تبرير التجسس دائماً ما يعود عليكم ضرره،  
ويتبين لكم فداحة ما تفعلونه، وفضاعة ما تصنعونه. دعيني  
أشرحها لك من وجهة نظر ضابط مخابرات متقاعد من ال  
«CIA»، يقول: أنا جاسوس وأخبركم أن التجسس لا

ينفع!

\*\*\*\*\*



## 3

في هذه الأثناء قَدِمَ النادل معترضًا الحديث الشائق الذي يدور بين شارلوت وعبدالله، ليقدم لهما عصائر استوائية تختص بها هاواي، قدمها باردة عليها تطفئ حرارة الحوار الذي يدور .. كانت العصائر ضيافة من منظمي المؤتمر .

وكأنّ شارلوت شعرت بهيمنة معلومات عبد الله على عالمها الاستخباراتي، فحاولت الإمساك بزمام الحديث من جديد مستخدمةً أسلحتها الخاصة:

-لسنا وحدنا نتجسس عليكم، هناك من اخترق خصوصيتك من أوسع الأبواب. هل تذكر « دينا » ؟  
نجحت محاولتها، فقد فاجأت عبد الله بهذه المداخلة لتعكر رشفة طويلاً ارتشفها من كأس العصير الذي قدمه لها النادل للتوّ.

-دينا، من تقصدين بـ « دينا » ؟

معتدلاً في جلسته يرتبك عبدالله، لما لهذا الاسم من وقع خاص في نفسه. لم يستطع متابعة رشفة ثانية من عصيره الشهي! أبعَد الكأس عن شفثيه مركزاً عينيه على شفثيها:

-تعرف جيداً من أقصد، إن علاقة حب دامت  
سنةً كاملة بكل تفاصيلها لا يمكن أن تنسى من شخص  
مثلك يدعي رقة المشاعر ويجب الشعر وكتب الأدب!  
-تقصدان أن دينا كانت ..

-نعم، لقد كانت دينا خطة محكمة تقعون أتم فيها أيها  
الرجال، مراراً وتكراراً. في المجتمع الاستخباراتي، نسمي  
هذا النوع من الاستخباراتية "فخ العسل". ولم تكن  
دينا مخبرة تعمل لأي من جهات الاستخبارات  
الأمريكية، وإنما كانت تجمع معلومات للموساد.

يضحك عبدالله بشكل هستيري، حتى بدت له  
أسنانٌ مختلفة كان قد قام بتركيبها في الولايات المتحدة،  
وتبدو أكثر بياضاً من بقية أسنانه.

لم تكونوا وحدكم إذاً. تقصدين أن ديننا كانت تجمع المعلومات لحساب الموساد؟

نعم، ديننا كانت كذلك، والسبب تافه لا تتخيله، لكن حلفاءنا في جهاز الموساد يخافون من كل شاردة وواردة. كنت أنت قد كتبت قصيدة شعرية تمدح بها سكان غزة على مقاومتهم للاحتلال الإسرائيلي، وقد بعثت بتلك القصيدة لموقع معروف لديهم، إنه بوابة إعلامية لحماس، فما كان منهم إلا أن فتحوا ملفاً لك، بدؤوا فيه بالتلصص على كل رسائل بريدك الإلكتروني، ومن ثم إرسال مخبرة تعمل بالأجر مهمتها فقط جمع المعلومات عنك، ورفع تقرير بأية نياتٍ قد تظهر لديك لفعل أي عمل نوعي مع حركات المقاومة.

كانت تُظلل شارلوت وعبدالله بجوار الطاولة شجرة سقطت منها دودة على عبدالله وهو يهم بالحديث، يبدو أنها انجذبت إلى كأس العصير، شكلها لطيف، تلمم نفسها، يحاول عبدالله طردها بيده، لكنها تنجح في التسلق على كفه، فينقرها بضربة أصبع من يده الأخرى نحو العشب المجاور، ثم يتابع حديثه:

-أجد صعوبة في تصديق أن دينا كانت تعمل مع الموساد. لقد كانت إنسانة بسيطة تحتاج إلى من ينقذها من وحدةٍ كانت تعاني منها كثيراً.

-هي بالضبط لم تكن تعمل في الموساد، بل كانت تعمل لخدمة الموساد مقابل الأجر، وربما لم تكن تعلم أنها تعمل للموساد !

فتجنيد مخبرين لجمع المعلومات عملية سهلة جداً في  
العمل الاستخباراتي .. المرأة والمال كفيلان يسقاط  
أعتى الرجال!

-حتى حديث الوسادة يستخدم في التلصص على  
عامة الناس .. اسمحي لي شارلوت أن أقول بالفم  
الممتلئ : يا لكم من أوغاد!!

وبشكل لا إرادي يزداد مستوى الأدرينالين مؤثراً على  
الاتزان الداخلي لجسم عبدالله بشكل ملحوظ، اعترته  
ملامح غضب، وظهرت عليه آثار تعرق، وتسارعت  
لديه موجات الشهيق والزفير .. لكنه يحاول أن يستجمع  
قواه بعد موجة التغير السريعة، يرتشف رشفة مٌروية  
من العصير الملون، ليستعيد هدوءه.



-حسناً، أعتذر منك سيدتي. سوف أكون صادقاً معك، لا أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء. لم تكن دينا فتاة عادية، فقد تم اختيارها بعناية .. كانت فعلاً بارعة الجمال، وتعرف كيف تغري الرجال، كانت لها جاذبية غريبة أكاد لا أعرف مصدرها .. كانت - إذا صح التعبير - من النوع الذي أحب. كانت...

مررت شارلوت كفها على جبينها وكأنّها تحاول محو الغضون العرّضية الناعمة التي بدأت تحفر هناك، وتمضي بها مغلّلة أصابعها في شعرها القصير المصبوغ بصفرة ذهبية، ولكن جذوره أبت إلا أن تفضح منابت الشيب وهي تسحب كفها عنه نحو قحف رأسها، وبابتسامة ذابلة قاطعته قائلة:

-أرجوك لا تتعمق في ذكر التفاصيل، فأنا امرأة

وأغار!

تمتع شارلوت عبدالله من التوغل في وصف دينا، بعدما  
ثارت فيها أحاسيس مطمورة، كأنه نفخ في أعماقها رماد  
غيرة النساء القاتلة، ذلك الجمر الذي لا يخمد في أعماق  
المرأة مهما تقدمت بها السن!

لحظة التذكر فرضت على عبدالله ذكر محاسن دينا، فقد  
كانت لها عينان واسعتان جميلتان، فيها زرقة، والحاجبان  
كأما خطا بضربة قلم، والأهداب الطويلة الرائعة يمكن  
إمساكها برؤوس الأصابع، كانت مكتملة الأنوثة، تملك  
جمالاً رائعاً عنيفاً يقهر الرجال.

-غير معقول .. كيف تغارين؟ لا تقولي إنك...

لقد صرحت لك يا عجابي في بداية الحديث، ولا أريد أن أقول أكثر من ذلك، كما أنني لم أكن أطيق تلك الساقطة، فقد كانت تستخدم جسدها معك ومع غيرك ونحن نعرف عنها كل شيء.

باعترا ف منكر:

لا أعرف، كيف لم يخطر على بالي أن تكون دينا من هذا النوع.

إنه فخ العسل .. أنت لست مختلفاً عن جنس الرجال، وقع قبلك الكثيرون. التاريخ يعج بقصص فخ العسل، ولا يزال الرجال يكررون الخطأ نفسه، معظمهم يتساقطون كقطع الشطرنج أمام النساء. رجالات السياسة في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية وقعوا فريسة أشهر قصة لهذا النوع من الفخاخ مع

الراقصة الهولندية «Mata Hari» ، والتي أدمت بعدها لتصبح عبرة لكل من تفكر بلعب الدور نفسه. وهناك نساء أيضاً وقعن ضحية فخ العسل والذي يسمى أحياناً « فخ روميو» ، ففي ألمانيا هناك قصة تعود للحرب الباردة تم كشفها في 1997 بالأدلة الدامغة، لكن إحدى ضحايا هذا الفخ حتى بعد أن قدموا لها البراهين لم تقتنع، وكانت تردد: هذا غير صحيح، لقد أحبته وكان يجنني!!

المسكينة لم تستوعب اتساع الشقة بين الأحلام الجميلة والحقائق الصارمة!

دينا بكل بساطة أدت دورها وذهبت، كانت الخطة محكمة. مراقبة الهدف "أنت".

كانت شارلوت تتكلم بتدفيقٍ مُستحضرةً كلَّ ما تملكه من شواهد وكأنَّها تواسي بها عبد الله الذي لم يستطع إخفاء ملامح صدمته من قسمآ وجهه:

-وكنٓ حينها بلا زوجة، بلا أولاد، بلا حيوان أليف في المنزل. كنت كعادتك في كل يوم خميس تحب الجلوس في غرفة القراءة الهادئة في مكتبة الجامعة .. الطعم دينا تتواجد قبل قدومك في تلك الغرفة، حتى تعتقد أن الأمر حصل صدفة ..

تدخل إلى الغرفة فتبادلك دينا نظرة الإعجاب، مستخدمة عينيها الجميلتين الزرقاوين .. تقع أنت فريسة سهلة لإغواء المرأة، وما أضعفكم أيها الرجال عند حضور المرأة الجميلة!

بكل سرور تبادر أنت للتعرف عليها، تبادلك نظرات  
الإعجاب والميول. ببساطة، هناك بدأت الحكاية.

-يا رباه !

كم كنت ساذجاً !!

نعم صحيح، أتذكر، كانت هذه هي بداية حبي العابر  
معها .

وكأنه يحدث نفسه تتم بصوتٍ مسموع:

لم يكذب إذاً عبدالحليم حافظ عندما غنى وصدق في

« جبار » :

مكنتش أعرف ..

قبل النهار ده..

إن العيون دي..

تعرف تخون بالشكل دا!

-من هو عبدالحليم حافظ ؟ !

تتساءل شارلوت مستغربةً هذا الاسم الغريب. ومرة أخرى يتأكد عبد الله أن تكنولوجيا الأرض عاجزة عن مراقبة مشاعره وفهمها تلك اللحظة، عاجزة عن إدراك تجاوب تلك الأغنية في أعماقه... واستحضاره لها في هذا الموقف وهي الأغنية المنسية في داخله منذ أيام المراهقة. يتابع غير آبه:

-لا عليك، هذا موضوع آخر، يطمئنها عبدالله ويهرب من نقاش جانبي أقل أهمية من موضوع ديننا، بعد وصول الحديث إلى أمر بهذه التفاصيل المخيفة!

-لقد وقعت فعلاً في فخ العسل، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا سيدتي، هل وجدوا ثمة شيئاً، كيف كانت تقدم لهم تقاريرها؟!

-هذا عمل المخبرين « أبدولا » ، هم فقط أدوات  
يُستخدمون للوصول إلى الهدف، يطلب منهم أحياناً  
كتابة تقرير، لكن في الواقع هم أيضاً يقعون تحت مراقبة  
من يرسلونهم!

دينا مثلاً، كانت تعتقد أنها تواعدك في الخفاء خارج  
إطار عملها، وتخفي أجهزة التصوير والتسجيل التي  
أعطيت لها متى ما أرادت الولوج معك في لقاء حميم،  
لكن في الحقيقة تم زرع أجهزة تصوير مرئية ومسموعة  
في عقر دارك بطريقة تخفي عليها هي أيضاً.

اعترض المسافة بين وجهيهما بكفه وكأنه يطلب منها ألا  
تسترسِل:



-هنا، توقفي شارلوت، أشعر بالحرج الشديد وصغر  
 حجمي أمام نزواتي الشبابية التي لم أحفظ نفسي منها.  
 أنتِ تتوغلين بعنف في حياتي!  
 بندم على ما فات، يرفض عبدالله العودة إلى التفكير في  
 هفوات قديمة، كانت الرغبة في النساء تقض مضجعه،  
 وكان ذلك طبيعياً، فقد كان شاباً، يفكر في النساء، في  
 أية واحدة من النساء، في كل النساء اللاتي عرفهن، وفي  
 كل المناسبات التي فيها أحبن .. عبث به العشق لدرجة  
 متقدمة.

وكانّ شارلوت فهمتْ إشارة كفه الحازمة، فغيرت مجرى  
 الحديث:

-الذي كان يحيرني أيضاً في شخصيتك « أبدولا »  
 هو تناقضك الواضح بين نزواتك وعباداتك، ففي الوقت

نفسه الذي كنت ترى فيه ديناً، كنت لا تترك صلواتك  
 الخمس في كل يوم، بل أحياناً كنت تهض من فراشك  
 المريح في أول ساعات اليوم، ثم تذهب إلى المسجد  
 البعيد عن مسكنك، فقط لتصلي ثم تعود!

وأحياناً تعود لتنام؟!!

لقد لاحظت ذلك عند بعض المسلمين، تحافظون  
 على الصلوات وتقترفون المحرمات. كيف يكون ذلك؟  
 -في كل الأديان شارلوت لا يوجد من لا يخطئ، لا  
 يوجد من لا يموت، لا يوجد من يحظى بالكمال،  
 والإسلام دين وسطي بين الرهبانية والعلمانية،  
 والتناقض الذي كُنْتُ ترىنه كُنْتُ تقترفين ما هو أفضح  
 منه في التلصص على خصوصيات البشر، وما يفعلونه

في بيوتهم، هناك آلاف الرذائل يا شارلوت تختبئ في ظلمات هذا العالم.

تعتدل شارلوت في جلستها متخذة وضع الدفاع بعد الهجوم، لما لهذه المسألة من حساسية في قرارة نفسها، واقتناعها بخطأ ما كانت تفعله، وعلمها أنها نقطة ضعف، فعبداً لله يجرى دون رحمة في أعماقها إحساسها بالذنب. تهمهم بصوت منخفض، وعيناها تنظران إلى الأسفل، كأنها تحدث نفسها، بنغمة مهزوزة:

-وكيف يكون ما كنا نفعله أفضح من التناقض الذي

كنت تعيشه؟

-دعيني أحدثك سيدتي عن قصة قديمة مشهورة

تُروى في كتبنا عن أمير لبلاد المسلمين عرف بعدله،

وحرصه على رعيته. بينما هو يعس في مدينته ليلاً، سمع

صوت رجل يغني في بيته، فتسور عليه، فوجد عنده امرأة، ولديه خمر، فقال له : يا عدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فرد الرجل :يا أمير المسلمين، لا تعجل عليّ، إن كنت عصيت الله في واحدة، فأنت عصيته في ثلاث، قال تعالى: "ولا تجسسوا"، وقد تجسست. وقال عز وجل: "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها"، وقد تسورت عليّ ودخلت من ظهر البيت بغير إذن. وقال سبحانه: "لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها"، وقد دخلت بغير سلام!

فأُخرج الأمير، واعتذر.

أومات شارلوت برأسها موافقة على حديث عبدالله  
ومستحسنة له.

\*\*\*\*\*



## 4

**أطرت** شارلوت قليلاً، ثم استنشقت شهيقاً مطولاً، يتبعه زفير، وبقيت محدقة نحو الأسفل .. ثم استطرد عبدالله مرة أخرى قائلاً:

-أرجو يا شارلوت ألا تفهمي أنني أرى أن كل شيء في هذا العالم مغتفر سلفاً، أو أن كل شيء مسموح به بوقاحة. أنا أوّمن بالله، وأؤمن أيضاً أنه مهما تعظم

سيئات الإنسان، فإنها لا تتجاوز حدود مغفرة الله  
وعفوه إذا شاء. ولا بد أن كل إنسان كان يوماً طفلاً  
بريئاً، وروحه خالية من الشرور والآثام.

حركت شارلوت شعرها بيدها اليمين وهي تميل برأسها،  
فبدت آثار تساقط شعر، مع لمحة من بقايا خصلات  
جميلة، اثنت وقالت:

-أنا لا أنكر أننا وجدنا أشياء عظيمة في دينكم،  
وقرأنا فيه ما يبهر العقول، ويدعو للقبول، لكنكم شر  
مثل لدين جميل، لا أنسى أبداً عبارة عميقة قرأتها في  
موقع يتحدث عن الإسلام، صنفت تلك العبارة  
المخلوقات التي خلقها الله إلى أربعة أصناف، بصورة  
دقيقة، جعلتني أرى الوجود بشكل مختلف.

الملائكة: مخلوقات لها عقل وليس لها شهوة. الدواب  
والأنعام: لها شهوة وليس لها عقل. الجمادات: لا عقل لها  
ولا شهوة. الإنس والجن: لهما عقل ولهما شهوة.  
أطرق عبدالله وسكن، كأنه وجد الكلام حسناً. ثم بعد  
ذلك استفهم:

-إذاً، بعد أن تجمعوا عنا المعلومات أتم وأصدقائكم في  
الدولة الصهيونية، هل فعلاً اكتشفتم أنني ذئب متوحد  
كما ذكرتِ سلفاً أم حملٌ وديع؟!  
تبتسم شارلوت من كلمة حمل وديع، ابتسامة ممزوجة  
بتحسر على الوقت الذي ضاع والجهد الذي بذل في  
مراقبته.

-أستطيع القول إنك أقرب إلى حمل وديع، لكنك في

نظري ذئب وديع!



يبادلها عبدالله الابتسامة بضحكة خفيفة مائلة بسؤال:

-وكيف ذلك؟

-أتم الرجال ذئاب؟ وستظلون دائماً ذئاباً؟

-يبدو أنك ستعودين إلى موضوع دينا مرة أخرى؟

-نعم، ويحق لي، لأنها ليست دينا فقط؟!!

يلتفت عبدالله إلى اليمين بسرعة، شاداً شعره الأسود

الكثيف بيده اليمين، هارباً من حديث كأنه يعرف أين

سيتجه..

-آه .. يبدو أن وراء الأكمة ما وراءها ... شارلوت،

أعترف أنني كنت فعلاً ساذجاً، لم يخطر في بالي أن

دينا فخ عسل، كيف لم تسعفني الفطنة، فأنا لا أملك

المجازية الكافية لأصل إلى مستوى جمالها، ودرجة

تعليمها، فقد كانت تسبقني مرتبة علمية، وجمالها يسرق

الألباب، وأنا ظاهرياً أقل من عادي. مهلاً: ماذا  
تقصدين ليست دينا فقط؟!

أوقف عبدالله حديثه فجأة، مستوعباً ما قالته شارلوت  
ومتيقظاً لآخر كلامها « ليست دينا فقط! »

-قلت لك إنكم ذئاب، وأنا صادقة في قولي، هل  
نسيت أنك كنت على علاقة حب مستمرة مع حبك  
الأول، مع سعاد في موطنك، في الوقت الذي كنت  
تواعد فيه دينا وتمضي معها أوقاتاً مائعة؟!

-سعاد .. كيف .. حتى سعاد..؟! !

-نعم .. نعم..

بثبات وثقة على صدق ما تقول، تسرد له تاريخاً من  
حياته حتى كأنه أصبح أمامها قصة مكتملة العناصر ذات  
ذبول غرامية.

-اسمحي لي سيدتي أن أقول لك مرة أخرى وبكل صدق « يا لكم من أوغاد ».

حتى هاتفي الشخصي غير الأمريكي تتجسسون عليه.  
أتم لا تخترقون الخصوصية، أتم تنحرون مفهوم  
الخصوصية.

-لا أعتقد أنك بهذه السذاجة، أنا أتحدث معك عن  
تكنولوجيا إلكترونية متقدمة إلى أبعد مدى، وذباب  
يعيش في بيتك لسنوات يرى ويسمع ما يدور في  
مكانك، وأنت تتحدث عن هاتف شخصي يستخدم  
تطبيقات متوافرة للعامة !

يخلق عبدالله بعيداً بتفكيره، إلى مكان لا يعلم مداه،  
يقلب نظره إلى أبراج الفندق الأربعة التي تحتوي مجلسهم  
في هاواي. تقع عيناه على أسرة مسلمة تجلس في مطعم

يبدو أنه في الدور الثاني من البرج المجاور، فيما يصل  
ويجول حولهم فوج من السائحين معظمهم من اليابان،  
الفتاة وأمها ترتديان الحجاب، والأب يتحدث إليهما  
بسعادة، يخوضون في حديث عائلي مبتهج .. يفكر: هل  
هؤلاء أيضاً تحت المراقبة المستمرة!  
يستأنف حديثه.

-وماذا عن سعاد؟ لماذا كنت تهمين بفرز معلوماتي  
العاطفية، بينما أتم في الأصل تبحثون عن إرهابي  
محتمل؟

ترد شارلوت بجعل المجرم الذي اعترف بجريمته بعد تحقيق  
مطول كان ينكر فيه ما فعلت يداه:

-أنا امرأة، وكانت هذه المعلومات تثير فضولي، وكنت  
أجد إثارة في تتبعها ودراسة تفاصيلها. وفي النهاية، كل

شيء متاح لي بنقرة فأرة الحاسوب. البرامج التي تجمع معلوماتك، صوتاً، وصورةً، وتتبعاً، تلك البرامج المتوافرة لدينا في غاية الدقة تصميماً وبرمجةً.

دعني أقرب المعلومة لك بشكل أبسط، ضع نفسك متصفحاً في قناةٍ على « اليوتيوب »، هذه القناة مليئة بالمقاطع المرئية، والصوتية، بالإضافة إلى تقارير مكتوبة من متخصصين، وعلاوة على ذلك، فرز إلكتروني مريح جداً للمتصفح، بكل مراسلاتك ومشاركاتك الإلكترونية، شخصي، عائلي، اجتماعي، تجاري، ديني، .. إلخ. بهذه الطريقة كنت أمامي صفحة مفتوحة أقرأ منها ما أشاء وأترك ما أشاء.

شعر عبدالله بأصوات قرقرة معدته معلنة عن فترة غدائه التي يجبها، غداء مبكر عند الثانية عشرة والنصف.

يوقف الحديث ويسأل عما إذا كانت شارلوت لا تمنع في مرافقته لتناول الغداء معاً .. كانت تعرف أنه سيتكفل بالدفع والدعوة بحفاوة .. عادة يتمتع بها عبدالله من البيئة التي خرج منها.

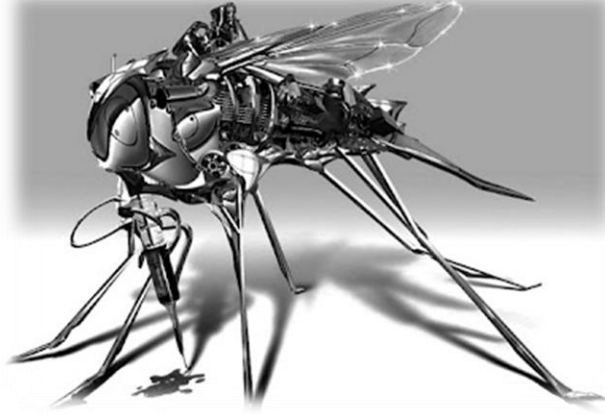
-أشكرك على الدعوة، لكنني أحتاج إلى الذهاب لغرفتي في الطابق العاشر من البرج الثاني لجلب دوائي وسأعود لك بأسرع وقت.

-حسناً، سأكون في مطعم « هونولولو » ..

يشير عبدالله إلى مكان المطعم ويطلب منها عدم التأخر. كان عبدالله حاد الجوع، سريع الشبع. طبع لظالما لازمه في يومياته.

أومأت شارلوت بيدها إيماءة بعلامة «OK» مصحوبة  
بغمزة عين، وكأنها تعرف عنه ذلك الطبع، كما تعرف  
الزوجة أطباع زوجها!

\*\*\*\*\*



## 5

**يجلس** عبدالله خلف طاولة في ركن المطعم، ينتظر  
النادل ليأتي بقائمة طعام الغداء، الجو مشحون بكهرباء  
من المشاعر الغريبة، انفعال، وفضول، ولهفة، وترقب،  
وتحفز .. يفكر في الحديث المفزع الذي دار للتو مع  
سيدة يقابلها لأول مرة، لكنه في الوقت نفسه، أحس  
بصدقها، كما أن عمرها الكبير يدعو للثقة والمصارحة.



يصل النادل بكل لطف ويقدم قائمة الطعام، فيطلب  
عبدالله قائمة أخرى لشارلوت. يتصفح القائمة وهو شارد  
الذهن يحاول استيعاب ما حصل .. وبجماس فتى يتيم  
قالوا له إن أباك لا يزال حياً يرزق وتستطيع رؤيته،  
ينتظر عبدالله قدوم شارلوت، التي تدخل المطعم  
مسرعة الخطى.

-أعتذر إن كنت قد تأخرت قليلاً، هل قمت بطلب

الغداء؟

-أهلاً بك مجدداً.

لا، لم أطلب بعد، تستطيعين التمعن في قائمة الطعام،

أما أنا فقد اخترت ما سأطلب.

تنظر شارلوت إلى القائمة نظرة عجلي تعكس مدى معرفتها  
 بالطعام المحلي وترددتها المتكرر على مطاعم هاواي،  
 مهممةً:

-هممم .. يبدو أنهم يقدمون وجبة الـ « لوكو موكو »

هنا، هل تحب أن تجربها؟

-لا، أنا أحب الطعام الصحي، وهي كثيرة الدسم،

سأطلب هامبورجر الديك الرومي المحليّة.

يأتي النادل، وباحترافية متقنة يكتب طلبات الغداء

سريعاً، ويقدم كأسين من الماء لعبدالله وشارلوت ثم

ينصرف .. ينظر كل منهما نحو الآخر بتمعن، وبصمت

مخرج يستأنف عبدالله الحديث:

-إذاً تقولين إنكم كنتم تطلعون على حياتي الشخصية

من أوسع الأبواب بلا حدود.

انطلقت شارلوت في نبرات هادئة، ولفظ واضح، وإخراج دقيق للكلمات:

-يمكنك قول ذلك.

-هل كنت تحبين عملك؟

سؤال ذكي ودقيق، شديد الوقع على شارلوت، لعله أراد من ورائه أن يعرف بشكل غير مباشر هدف شارلوت من إطلاعه على أسرار مهنتها، لكنها كانت جاهزة للرد عليه، فهذا السؤال تكرر كثيراً بينها وبين زملائها، ومع نفسها، طوال مدة عملها في المجتمع الاستخباراتي.

-بالطبع لا، براتب قليل، وحمل كبير من الأسرار، شعور غير مرضٍ للطموح البشري .. كما أنه عمل يجلب الهم، ويسلب لذة النوم التي يتمتع بها عامة الناس، أنت لا تعرف معنى الشعور بالوحدة عند اقتراب النوم!

-يصعب عليّ تفهم بقاء الأشخاص الشرفاء في هذه  
الوظائف غير النبيلة.

بغضب وحدة، تنظر شارلوت إلى عبدالله، متأثرة  
بكلامه شبه الجارح، وكأنه نال قلامة ظفر من كبرياءها،  
ترد متهمّة بصوت مرتفع:

-تعجبي عندما تتكلم عن المثاليات .. لا زلت تتصنع  
المثالية في كل شيء تعمله. يجب أن تعرف يا عبدالله  
أنا مع مرور الوقت نعتاد على كل شيء .. الخير  
والشر.

تهدأ قليلاً بعد ثورة الغضب الخاطفة، لكن تغيرها  
المفاجئ جعل عبدالله يتردد في استئناف الحديث معها.  
تلاحظ شارلوت تعجب عبدالله من تغير حالتها المفاجئة  
والتي تبدو أنها آثار سن اليأس الهرمونية. مطمئنة له

ومعتذرةً، تدير شارلوت الحديث إلى موضوع أقل إشكالية بعد توقف الحديث برهة.

-دعني أسألك أنا، هل تزوجت وأصبحت لك أسرة؟

يشعر عبدالله بارتياح لعدم استمرار النبذة الحادة التي طغت على الكلمات الأخيرة لشارلوت، هو يتفهم طباع المرأة بمهارة قد اكتسبها من تجربة حياتية:

-نعم، تزوجت ولديّ أسرة كبيرة، أربع بنات، وولد، يكبرون وتكبر معهم المسؤوليات، في الحقيقة بعد أن نحصل على أكبر الشهادات العلمية، نكتشف أن امتحانات الحياة أشد وأقسى .. ماذا عنك أنتِ، هل لديك أسرة؟

-لا، الذين يعملون في مجال عملي، في الغالب لا يتزوجون.

ترد شارلوت بنبرة تفوح منها رائحةُ أسيّ. وبمراوغة مكشوفة يلفّ عبد الله ويعود إلى الموضوع الذي أثار شجونّه:

-أريد أن أسألك عن طبيعة علاقتكم مع الموساد؟  
كيف عرفتِ عن ديننا؟ وكيف عرفتِ أنها في خدمة الموساد؟

-دينا، مرة أخرى؟ آه من ديننا .. أعرف أنها ليست من النوع الذي يُنسى بسهولة، خصوصاً مع رجل مثلك، في الواقع طبيعة العلاقة بين الموساد وبيننا قديمة جداً تعود إلى مؤسس جهاز الموساد «Reuven Shiloah» في عام 1950 في معاهدة سرية لتعاون مشترك بين

أمريكا وإسرائيل. أمريكا تريد صديقاً مشتركاً يعطيها معلومات ضد الروس، وإسرائيل تريد صديقاً مشتركاً يزودها بالمعلومات عن جيرانها العرب اللدودين. توجت المعاهدة بهدية الموساد الأولى للحليف الأمريكي بعد تسريبها لخطاب « نيكيتا خروشوف » الشهير أمام الحزب السوفييتي الشيوعي، في وقت كان يصعب وصول شيء مثل ذلك إلى اليد الأمريكية. منذ تلك اللحظة، والتعاون قائم بيننا وبين الموساد، بشكل حميم. أما كيف عرفت أنها من الموساد فهذا شأن لا أستطيع البوح به.

صمتُ قليلاً لتلقطَ نفساً طويلاً، ولاحَ في عينيها المحاصرتين بتجاعيدَ بينة نوعٌ من الاعتذار قبل أن تتابع:

لكن لماذا تبدو مهتماً بموضوع ديننا فقط؟ أليس لديكم

أيها الرجال أولويات أكبر من المرأة؟

بفكاهة معتادة يستخدمها عبدالله أحياناً عند وقوعه في

الخطأ، يقول مستخدماً لحناً فكاهياً غنائياً غير متزن

للجملة : لدينا لدينا لكنا نسينا !!!

وبينما يكرر عبدالله جملة بسخرية مع ذاته، ممسكاً

بالشوكة والسكين ومستعداً لتناول طعامه..

هو ذا النادل يضع الطعام على الطاولة وتبدو اللوكو موكو

عند شارلوت شهية الطعم .. يسأل النادل عما إذا كانت

هناك أية خدمة أخرى يمكن أن يسديها لهما، فيشكره

الاثنان، ثم يبرح إلى طاولة مجاورة.

مستعدة شارلوت للابتداء في تناول اللوكو موكو:



-أذكر لك عادةً كنت تؤديها قبل النوم، بدت لي  
غريبة، ودوامك عليها يزيد لها غرابة، ما الذي كنت ترتله  
في يديك، عندما تجعلها في وضع كتاب، قبل أن تخلد  
إلى النوم كل يوم؟

-أين ومتى رأيت هذا المشهد؟

-في التسجيلات المرئية الخاصة بك، عندما كنت  
أستلم ورديتي في التجسس عليك.

-وتقولينها بكل فخر؟! بلا إعادة صوغ للكلام؟

-أعتقد أننا تجاوزنا هذا النقاش!

لا تغضب.. عندما كنا نراقبك.. هل هذا أفضل؟

يتم عبد الله في داخله بشكلٍ ساخرٍ غير واضحٍ « يا لكم  
من أوغاد ».

-هذه أذكار ما قبل النوم يا سيدتي، أستعين بها  
وتحصني من كل شيء.

باستهزاء بريء يشوبه بعض الاستغراب ترفع شارلوت  
عينها عن وجبتها نحو الأعلى وتقول:

-ها قد عدنا للشاب المتناقض، يعصي الله في النهار  
ويستغفره في الليل!

-تعرفين شارلوت، أنا لا أدعي الفضيلة، لكنني  
أعرف أن الله خلقنا ويعرف أننا سنقع في الذنوب  
والخطايا، وقد تكون حكمته أن نستغفره بعد الذنوب.  
لا تنسي ما روي عن المسيح عليه السلام :

" من كان بلا خطيئة، فليرمها بحجر "

-عذرا عبدالله، لا ضير، وأنا أعرف أننا بشر  
ونخطئ .. كلنا خطاؤون.

يتابع عبدُ الله ممتماً: وخيرُ الخطائين التوابون وهو ينقضُّ على وجبته بنهم مقارنة بطريقة شارلوت في الأكل.

يسألها بشغف طفل يسأل أباه عن كل شيء وفي أي شيء. لكنّ نبرته لم تخلُ من مَكْرٍ في أذنيها:

هل لديك القدرة على استخراج تصويرٍ لكل فترات المراقبة التي كنتم تقومون بها خلال فترة مكوثي في الولايات المتحدة. وبتوضيحٍ أكثرٍ لعينيها المتسائلتين شرح لها: أقصد لو اخترت تاريخاً معيناً، في سنة معينة من حياتي، أتستطيعين جلب المقاطع المتوافرة لديكم؟ ليست بهذه البساطة التي تتصورها، فأنا الآن لا أملك أي نوع من التصاريح الأمنية التي تسمح لي بالاطلاع على شيء. وهذه التصاريح تمنح بدرجات: خاص، سري، وسري للغاية!

-ومن يتمتع بهذه التصاريح؟ ومن يعطيها؟  
 -آخر ما أتذكره من فترة عملي أن مليوناً ونصف  
 المليون شخص تقريباً في الولايات المتحدة يتمتعون  
 بتصاريح سري للغاية، ثلثهم تقريباً من شركات متعاقدة،  
 وليسوا موظفين حكوميين!

-مهلاً، مهلاً.. على رسلك! كيف يكون ذلك؟  
 يتوقف عبدالله بصورة مفاجئة عن تناول الطعام،  
 وفي يديه الشوكة والسكين، محرّكاً يده - بما فيها -  
 مستغرباً، ينظر قليلاً ناحية شارلوت، يسأل سؤالاً  
 ضمنياً بلا تلفظ، وبإيماءة تعجب مع رفع الحاجبين،  
 فحوى السؤال: كيف يكون ذلك!؟

-أعرف أن هذا غريب، لكن مؤخراً معظم الوظائف  
 تتطلب خبرات تكنولوجية متقدمة، فتعطي التصاريح -

بشروط طبعاً - لشركات خاصة شبه حكومية، ومن  
يملكها أشخاص هم كانوا يتمتعون بتصاريح سري للغاية في  
الغالب. أعتقد أن الصورة تبدو أكثر وضوحاً الآن.  
بتفهم يحرك عبدالله رأسه مع إيماءة مصحوبة بشفتين  
ممدودتين.

-لطالما كانت السياسة والشركات الكبرى ضجيعين  
يتقاسمان فراشاً واحداً. لا يخفى عليك كيف تدار  
الأمر. ربما تعرف بعضاً من خفاياها.  
تقول ذلك شارلوت بسرعة وكأنها غير مقرة بما يحدث.  
-أنا لا أملك أن أطلعك على شيء الآن، لا يوجد  
لديّ أية صلاحيات، لكنني أستطيع تذكر ما يمكن  
تذكره .. لن أنسى العام الذي ذرفت فيه دموعي عليك،

ووددت وقتها لو كان باستطاعتي تعزيتك، وتقديم  
عناق مواساة لك.

-غريب .. كيف ذلك؟

-كان ذلك عام حزن لك. كان العام الذي تلقيت فيه  
مكالمة أخبرتك فيها أختك أن أمك قد توفيت فجأة، ولم  
تكن باستطاعتك العودة لأن مراسم الدفن كانت سريعة،  
ولم يكن هناك ما يدعوك للعودة. فقد كانت هي السبب  
الوحيد الذي يشجعك على الرجوع إلى الوطن. كان وقع  
الخبر عليك صادماً. منذ تلقيك تلك المكالمة، ولمدة أسبوع  
كامل بلياليه، وبأسى لا يحتمل، كنت أحرص على تتبع ما  
يتم تخزينه عنك في التقارير المرئية عبر كاميرات التصوير  
البانورامية التي زرعت في بيتك، أتابع الحال، كمشاهد  
مهووس بمتابعة مسلسله المفضل. شعرت بالأسى تجاهك،

منذ تلقيك تلك المكالمة، وأنت في وضع مرتبك، مشدت، لا تعرف ماذا تفعل، تدور في غرفتك كالمجنون، ثم تذهب إلى صالة الجلوس بحركة مضطربة، جيئة وذهاباً، تذرف دموع الرجال الحارقة، بلا نواح أو عويل، تهتمر منك الدموع، ومخاط الأنف يزداد إثارة، وفي كل مرة تنظفه، تلقي بنفسك على الأريكة طلباً للراحة. لم يكن في ذلك راحة، لكنها كانت تبدو لي وقتها سرحاناً في مشاهد الأمومة، التي مررت بها طوال حياتك. كانت فيما استنتجت أنها الأب والأم لك بعد وفاة والدك وأنت صغير. وقد كنت أتعجب من طريقة بر الوالدين لدى المسلمين بصفة عامة، ولديك أنت بصفة خاصة. كنت أتفهم حزنك الشديد عليها. مكالماتك المستمرة لها وتبادلك القصص معها في مكالماتك الهاتفية والمرئية، كانت مؤشراً

واضحاً على عمق وتميز العلاقة بينكما .. كنت قريباً جداً من أمك.

يتذكر عبدالله تلك السنة بدقة، لم يكن بكاؤه انتحاباً كذلك الذي يحدث عندما يتحرك في داخل الإنسان ألم عميق، بل كان بكاء صامتاً، عندما ينهمر الدمع مسترسلاً على الوجنتين بهدوء.

متابعاً لتدفق حديثها، تتباطأ وتيرة الأكل السريعة التي كان عليها عبدالله، فقد نكأت شارلوت جرحاً عميقاً لم يُفتح من قبل، أحس أن الدماء تدفقت إلى وجهه، فالذكرى تهز المشاعر، وتحرك أوتار القلوب، كانت ذكرى شديدة الألم، تسبب له غصة في القلب وغشاوة على البصر، وكان ذلك العام بحق عام الحزن بالنسبة له.



لم يكن يعرف معنى الحزن قبل ذلك، كانت علاقته  
 بوالدته وثيقة، كان باراً بها أشد البر، وكانت تتقن دور  
 الأم والأب معه. يستجمع عبدالله قواه بعد وصلة حزن  
 سريعة، وشعور بأنه فاقد لخصوصيته حتى في أحزانه.  
 شيء مخيف أن يُراقب المرء على مدار الساعة بلا  
 حدود. يخرج من إطراقة حزنه رافع الرأس، وبرباطة  
 جأش :

-تذكريني شارلوت بدموع الكابتن « ويسلر » في  
 رائعة المخرج الألماني هنيكل « حياة الآخرين ». لم تكن  
 دموعك دموع حزن، وإنما دموع شخص يعرف أنه  
 يرتكب الخطأ. دموع عملاء مخابرات ألمانيا الشرقية  
 الستاتسي الذين اخترعوا سياسة:

" Know it all ..Collect it all "

يتوقف الحديث، ويستغرق الاثنان في التفكير. ثم تساءل عبدالله في نفسه، عن سبب إطالة شارلوت النظر إليه بعد أن قال ما قال .

بحق بدا عليها من قسوته، في موقف تعتبره مشاركة وجدانية منها، بينما لا يفهمه هو كذلك. تقول:

-هذه قسوة منك عبدالله. كيف تجرؤ على قول ذلك؟

وهو على وشك الانتهاء من طبقه، يللمم بالشوكة والسكين ما تبقى من طعام. وشارلوت توشك على الانتهاء من بقايا معكرونة النودل التي في طبق اللوكو موكو.

-لطفًا سيدي شارلوت، لكن الشعور بأنك كتاب

مفتوح أمام شخص لا تعرفه، يراك من الداخل، أشبه

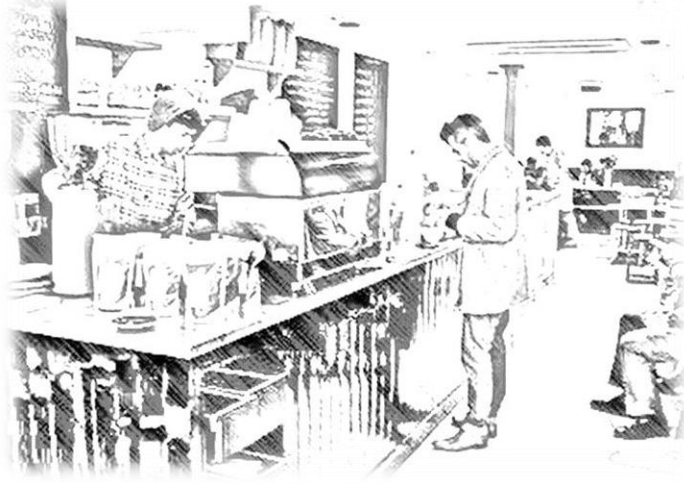
بالشوكة التي تنغرس وتتوغل في جسم المصاب كلما حاول انتزاعها.

-لا أختلف معك. لقد أفشيت لك أنني لا أوّمن كليا بما كنا نفعله، لكنني كنت أتوقع رداً أكثر لباقة من ذلك. على أية حال، لا مشكل في ذلك، ففيك قسوة تعتريك أحياناً، أعرفها، ويمكنني تفهمها. دعني أشكرك على دعوة الغداء، وأدعوك لفنجان قهوة هذا المساء. سيطيب لك الحديث، أعدك. أعرف أنك محمل بكثير من الأسئلة التي يمكن الإجابة عليها. ثم إن المكان الذي سنذهب إليه سيفتح شهية الأسئلة!

دفع عبدالله الحساب للنادل بعد أن حصل الاثنان على قطعة شوكولاتة صغيرة بطعم النعناع، كانت مخبأة في حافظة الفاتورة الجلدية، يقدمها المطعم مجاناً لمرتابه بعد

دفع قائمة الحساب. وذهب كل منهما إلى البرج الذي  
يقطن فيه. وكانت شارلوت قد حرصت بخبرتها على حجز  
غرفة لها شرفة تطل على شرفة غرفة عبدالله في البرج  
المقابل .

\*\*\*\*\*



## 6

في غرفتها، انتهت للتو شارلوت من أخذ حمام دافئ،  
كان كفيلاً بتحفيز دورتها الدموية بعد نصف يوم لا تزال  
أحداثه تبهرها، كأنها في حلم. سنوات طويلة مرت منذ  
أن تركت وظيفتها، وهي الآن تجالس أحد الذين كانت  
تراقبهم، تتحدث معه، تسمع منه، وتحاوره. وهي تلتحف  
فوطه، ظهر عليها شعار الفندق، تغطي المنطقة ما بين

صدرها الذابل وركبتها، تمضي شارلوت إلى ستارة الشرفة لتفتحها، عليها ترى عبدالله يقوم بالشيء نفسه في الجانب المقابل، حيث البرج الذي يقيم فيه.

غرفتها في الدور العاشر، وهو في الدور الثامن، وكأنها تمارس هواية قديمة كانت تستهويها، اختارت شارلوت أن ترى عبدالله من أعلى، لتشعر بقدرتها عليه، ومراقبته، لكن هذه المرة بلا أجهزة ولا عتاد!

تمضي بالشروع في ارتداء ملابس صيفية خفيفة، ثم تعود إلى الشرفة مرة أخرى، لترى ستارة غرفة عبدالله، لا زالت مغلقة. تسكب لنفسها كوباً من الماء وضع مجاناً للنزلاء، تشربه لتعديل درجة حرارة جسمها بعد الحمام الساخن، تنظر إلى هاتفها الذكي، تبحث في بريدّها الإلكتروني عن رسائل حديثة.

عبدالله بعد ساعة قيلولة مريحة، يشعر بتجديد يومه بعد أن بدأه باكراً بإلقاء محاضرة في المؤتمر، منشراحاً بعد حمامٍ سريع، أعطى لبشرته نضارة وامتلاءً، يشرع لحاسوبه الشخصي ليفتحه ويتصفح جرائد بلاده اليومية .. يطالع آخر الأخبار .. ينتهي من ذلك ليجد نفسه منجذباً لفتح باب الشرفة التي تلاعبها بقايا غمامة خفيفة تخترق ما بين أبراج الفندق. منظر فتان لا يراه في بلاده البتة. يفتح باب الشرفة ليعانق نسيمها، يتحدث في قرارة نفسه، منظر أسر أن يتجول الغمام بين الشرف على مستوى الطابق العاشر من الفندق. من الطرف الآخر لغرفته، يشاهد شارلوت ترسل له تحية من الأعلى، متهللة ورافعة يدها اليمنى مع تحريك أصابعها، فيبادلها التحية مع ابتسامة.

تؤشر له بشيء قريب من لغة الإشارة، تبرز له أصابعها الأربع ثم تشير إلى الأسفل، فهم من ذلك أنها تريد مقابله في الأسفل عند الساعة الرابعة. تركها برهة ليلقي نظرة خاطفة نحو ساعة الغرفة، وجدها تشير إلى الثالثة والرابع، فعاد إليها ليشير بعلامة «OK» مبدئياً موافقته.

استعد للخروج مع شارلوت إلى حيث وعدته، محملاً بكثير من الاستفهامات، المجال الذي كانت تعمل فيه كان دائماً مبحثاً مهماً في حياته، يستهويه ويقراً عنه الكثير .. يتخلى عن الملابس الرسمية التي ارتداها خلال مشاركته في المؤتمر صباحاً، وهو يدندن بصوت مرتفع بأغنية يحبها .. عادة أَلَفَها من سنوات غربته، تؤنسه في



وحشته، يلبس المريح الذي يساعده على المشي  
والتنقل في شوارع هاواي بمرونة.

التقيا في هو الأبراج حيث يلتقي نزلاء كل أبراج  
الفندق عند الخروج، كانت الساعة تشير إلى الرابعة  
تماماً ..

حيّت شارلوت عبدالله وطلبت منه أن يرافقها إلى  
حيث مواقف السيارات في القبو.

ركبا السيارة، وفتحت شارلوت حديثاً تمهيدياً بشكاية  
الأسعار المبالغ فيها لمواقف السيارات في الفندق.

-هل تعرف أن مكوث السيارة ليوم واحد فقط في

هذا الفندق يعادل \$30 !

-نعم أعلم، الأسعار تزداد في كل مكان ..

يرد عبدالله وهو في حالة شبه مرتبكة من تطور الأحداث وسرعة إيقاعها في يوم واحد:

-استرخ حضرة الدكتور، كن على سجيتك، أحب أن أراك على سمتك الشخصية المميزة .. لا تبدو مرتاحاً جداً!

-أحتاج إلى قليل من الوقت فقط، لا أزال أحاول استيعاب ما يحدث، وكيف أنا وأنت الآن في مركبة واحدة.

-أتفهم موقفك، أرجو أن تجاري جرائي بتفهم واسع، وصبر قوي .. هل تعرف هذا الشارع؟

-نعم، أعرفه قليلاً، إنها ليست المرة الأولى التي أزور فيها هاواي.

-أعرف ذلك، كل سجل السفر الخاص بك خلال وجودك في الولايات المتحدة كان محفوظاً وبشكل دقيق، كل ما كان علينا فعله هو التعامل مع برنامج صُمم خصيصاً للربط بين الآثار الإلكترونية التي تتركها في معاملاتك اليومية، تماماً كما وصفت في الديباجة التي أعجبتك في فيلم عين النسر والتي تقول إنها السبب في مشاهدتك له أكثر من مرة!

-تعرفين شارلوت:

إن أصدق جملة في الخصوصية قالها رجل تنبأ بنبوءات تكنولوجية أكثرها قد حدث، وأهمها أن الشبكة هي الحاسوب وليس العكس. قال:

"You have zero privacy anyway. Get over it."

تضحك شارلوت بشكل جنوني من ظرافة الجملة  
وصدقها في الوقت نفسه، كيف لم يمر عليها شيء بهذه  
الظرافة.

تعاود الضحك وتضرب على مقود المركبة بيدها اليمنى  
بتكرار مع قهقهة تختفي بالتدرج:

-من أين تأتي بهذه الجمل الأنيسة، أنت فعلاً قارئ  
جيد، لقد أصاب كبد الحقيقة بالفعل.

مبتسماً عبدالله من استحسان شارلوت للمقولة، يتابع  
بقول آخر ربما يروق لها أكثر :

-لم تعجب تلك المقولة الجميع، فقد رد عليه أحد  
الكتاب في أشهر مجلة للحواسيب قائلاً:

“He's right on the facts, wrong on the

attitude ...”

من شارع إلى آخر، وبسرعة يجتمها إيقاع المرور، تنتقل شارلوت بالحديث مشيرة إلى مبنى متفرد في شكله، على تقاطع شارعين متميزين في هونولولو، يبدو من تصميمه المعماري أن له طابعاً مختلفاً عن المباني التي تجاوره، وبخبت بريء تسأل شارلوت:

-هل تعرف الشركة التي تعمل في هذا المبنى؟

-لا يا سيدتي، أكتفي لي ما تعرفين ..

-هنا «Booz Allen Hamilton» العظيمة !

لا تقل إنك لم تسمع بهذا الاسم من قبل؟!!

-أنت تمزحين؟

هل تقصدين «Booz Allen Hamilton»

الشركة التي .. سنودن ..

-نعم .. نعم .. هنا كان يعمل سنودين وهذه إحدى الشركات التي توفر الأمان والخوف في آن واحد للعالم! هنا تعمل كوادر بشرية ليس لها نظير، وهنا الشركة الأكثر حظاً في العقود مع وكالة الأمن القومي، وكما هو العرف الجاري في معظم الدول، يعمل في إدارة هذه الشركة رؤساء سابقون لوكالة الأمن القومي ذاتها!

-إذا هنا يتم تطوير أكثر برامج المراقبة والتلصص تكنولوجياً في العالم، لماذا اختاروا هذا المكان؟ نحن في عالم معقد يا شارلوت. عندما ظهر سنودن لأول مرة على الشاشات الصغيرة والكبيرة، ليقول:

"كنت لديّ صلاحيات موسعة لدرجة أنني أستطيع التلصص على أي شخص، محاسب، قاضٍ اتحادي، أو حتى رئيس الولايات المتحدة، إذا تحصلت على بريده

الإلكتروني." عند مشاهدي لذلك، فكرت ملياً  
 وضحكت في نفسي، إذا كانت عندي الصلاحيات على  
 أن أتصلص على البريد الإلكتروني لشخص ما، من  
 سأختار أولاً؟!؟

-ستختار دينا بالطبع؟ أعرف طباع الرجال جيداً!  
 يضحك عبدالله وكأنه يتفق مع شارلوت في رأيها،  
 وأشار إلى مقهى في الجوار يبدو مريحاً، مقترحاً عليها  
 إيجاد موقف قريب للمركبة والنزول للجلوس في المقهى.  
 ينزل الاثنان من المركبة بعد فتح أحزمة الأمان،  
 وشارلوت تتذكر قصة مشهورة كانت في السياق نفسه:  
 -هناك «أبدولا» مصطلح في الاستخباراتية نسميه  
 «LoveInt»، وهو تعبير نطلقه على استخدام العاملين  
 في حقل الاستخبارات لقدراتهم الواسعة للرصد

والمراقبة، في التلصص والتجسس على علاقاتهم العاطفية مثل الزوج أو الزوجة أو الصديقة.

في أول يوم له في العمل بجهة سيادية استخباراتية، مستخدماً الصلاحيات التي أعطيت له للتو، أقدم موظف شاب على تجربة إمكانات النظام على جهاز الحاسوب في العمل، لطلب استعلام على عناوين بريد إلكترونية؟

يمشي عبدالله بمحاذاة شارلوت متجهين إلى باب المقهى، ينظر إليها مولعاً بتفاصيل القصة ..

-دعيني أضمن، البريد الإلكتروني لزوجته هو الأول؟

تبتسم شارلوت وبتباطؤ وتلكؤ متعمد ..

-دعنا نطلب ما نريد ونجلس، ثم أكمل لك من هم

الذين اختارهم الشاب المتحمس ..



يجلس الاثنان على طاولة في ركن مريح ووثير، كعادته  
 عبدالله لا يشرب القهوة والشاي ولا المشروبات المنبهة  
 بأنواعها، يضع أمامه عصير الليمون مع قطعة بسكويت  
 من دقيق الشوفان بالزبيب، وشارلوت ترشف الرشفة  
 الأولى لها من فجان القهوة وتقول..

-ردًا على سؤالك، لم يكن متزوجاً!

إنما كان البريد الإلكتروني الأول يخص عشيقته سابقته،  
 والثاني يعود لشخص آخر - مواطن أمريكي - يعرفه.  
 آه.. كما توقعت فتش عن المرأة!

Cherchez la femme, pardieu!

Cherchez la femme

جملة منمقة صاغها الكسندر دوما بيير على لسان  
المفتش جاكال: فتش عن المرأة، في معظم الأمور  
والحوادث، ستجد حتماً امرأة..

-عجز عن فهمكم أيها الرجال. لقد سئمت من رؤية  
فحول الرجال وصفوتهم، يتساقطون أمام سحر النساء ..  
ألا تتجلدون !!!؟

-توازن الحياة سيدي شارلوت، إنه توازن الحياة. لو  
أن الرجل لم يجبل على حب المرأة والسعي وراءها،  
لانعدمت قيمة المرأة في هذه الحياة. وإنك لتجدين الرجل  
يقبل بالإهانة المخجلة في سبيل الارتواء من جسد  
جميل.

بشرود ذهن مؤقت، ترد شارلوت وهي لا تزال  
تستوعب الفرق الكبير بين طريقة التفكير لدى كل من  
الرجل والمرأة ..

-على كل، لم يُجرّد الشاب المندفع من وظيفته، لكنه  
أُنزل إلى رتبة وظيفية أقل، وقيد لمدة 45 يوماً، وكلف  
بعمل إضافي لمدة 45 يوماً، وحسم راتبه إلى النصف  
لمدة شهرين، مع توصية بعدم إعطائه صلاحيات  
الدخول مرة أخرى!

كانت شارلوت تتحدث مسترسلة وكأنها تخفي قصصاً  
أشد وقعاً من هذه القصة، وتعرف تفاصيل حوادث تم  
عن سوء استخدام لصلاحيات متعددة، لكنها على  
مستوى أرفع لمسؤولين كبار، مجرد التفكير في البوح بها  
لعبدالله يخيفها ويورقها!

-يا للمسكين، لقد دفع ثمن غلطته. لكنك لم تخبريني  
إذا ما كانت هناك نساء أسأن استخدام نظام المراقبة  
في التلصص على رجال؟!

-لا أعرف .. هل تعرف أنت شيئاً؟

أفترض أنك لم تتوقف عن قراءة ومتابعة مثل هذه  
القصص!

-أذكر فيما أذكر، من المضحكات قرأت أنه في عام  
2011 حدث أن أساءت موظفة استخدام قدرات  
نظام المراقبة الذي تعمل به، لتتجسس على عشيقها غير  
الأمريكي بانتهاكات متعمدة لصلاحياتها، وبعد مواجهتها  
بالأمر، احتجت أنها كانت تريد التأكد من أنه ليس  
شخصاً مشبوهاً يضمم الشر للولايات المتحدة!

ثم لم يحدث أن حوكت بشيء، بعد أن تقدمت  
باستقالتها عند شعورها باقتراب العقاب!

-هههه، أستطيع القول هنا فتش عن الرجل؟!  
يتبسم عبدالله من شروع شارلوت في جدال المساواة  
بين الرجل والمرأة، والخوض في مغالطات منطقية غير  
مفيدة.

-ربما، لكننا في حاجة إلى عدم ربط الأمور بهذا  
الشكل، هذه مغالطة منطقية، هل سمعتِ بالمغالطات  
المنطقية من قبل؟

-لا، تحدث، أحب أن أسمعك، ما هي المغالطات  
المنطقية؟

-المغالطات المنطقية هي أفتاخ عقلانية تنجذب عقولنا  
إليها، يجب أن نكون على وعي بها لتفاديها. بمعنى، لو

كانت كل المعطيات صحيحة لدينا، من الممكن للحجة أن تكون غير سليمة، إذا كان المنطق المستخدم غير سليم. ومن المغالطات المنطقية المشهورة على سبيل المثال: مغالطة "التقسيم الخاطئ"، تماماً كالتي شاعت بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة، والتي تبنتها إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن.

"إما أن تكون معنا أو تكون مع الإرهابيين!"

هذه المغالطة المنطقية تتجاهل الخيار المحايد: لست

معك ولا مع الإرهابيين.

والمغالطات المنطقية التي نستخدمها في حياتنا اليومية

كثيرة جداً، وتؤثر كثيراً على علاقاتنا ببعضنا البعض

بشكل سلبي لا ننتبه له. أذكر لك أكثرها استخداماً،

وأشهرها: مغالطة "التحريف" ومغالطة "الشخصنة".

أما مغالطة التحريف فهي أن أُحَرِّف حجة الطرف الآخر. فلو أن نائباً في البرلمان اقترح تقليص ميزانية الجيش مقابل زيادة ميزانية التعليم والصحة، يأتي زميل له ليستغرب كره الأول للوطن واستعداده لترك الوطن بدون وسائل دفاعية!

هذا التحريف المأفون، يهبط بمستوى الحوار ويشقي الشخص الرشيد.

يتوقف عبدالله عن الحديث برهة، ناظراً إلى قطع البسكويت لدى البائع، يفكر في نفسه عما إذا كان الأمر يستحق منه طلب قطعة أخرى أم يكتفي بما انتهى منه للتو. تقطع شارلوت التفكير عليه بسرعة، قائلة:

-وما هي مغالطة الشخصنة؟

يكمل حديثه:

-مغالطة الشخصنة هي الهجوم على صاحب الحجة بدلاً من الحجة نفسها، كأن تأتي امرأة مفكرة وصاحبة رأي باقتراح يحل مشكلة الطلاق ويساعد على تقليلها. فيأتي رجل ويقول: هذه المرأة لا تتمتع بشهادة جامعية وهي فوق ذلك غير متزوجة، لا تصدقوها!!

-هذا كلام فلسفي عميق، أي نوع من العلوم هذا؟  
-هذا علم المنطق يا سيدتي، علم مميز يبحث عن القواعد العامة للتفكير الصحيح.

تعيد مسار الحديث شارلوت إلى مكان عليه، مبتعدة عن الأسلوب الفلسفي لحديث عبدالله:

-بعيداً عن المنطق، لو افترضنا أنني أعطيتك صلاحيات واسعة، على كل الأنظمة التي طورتها مثل هذه الشركات الكبرى، وهي تشير إلى اتجاه الشركة



التي عمل بها سنودن، من الشخص الأول الذي  
ستبحث عنه؟

يجيب عبدالله بلا تردد، وبصورة مفاجئة ..

-أنتِ بالطبع؟ ثم دينا ..

تضحك شارلوت بابتسامة مشوبة برعدة مفاجئة..

-ولماذا؟

-إنه مبدأ التبادلية "المعاملة بالمثل"، نحن البشر نميل  
بسلوكنا إلى حب المعاملة بالمثل، بالإيجاب أو بالسلب!  
لأنك تعرفين عني كل شيء، أريد أن أعرف عنك  
كل شيء، هذا إن كان سلباً، أما إيجاباً فلأنتي بعد أن  
دعوتك على وجبة الغداء، رأيتك ممنونة لي بدعوتي  
لهذا المقهى. والمعاملة بالمثل - إيجابياً - التزام اجتماعي  
يُعتبر تاركه ناكراً للجميل.

-بأية حال، لن تجد عني شيئاً مشوقاً، فطبيعة العمل التي كنت أعمل به تحتم علينا نمط حياة مملاً، لا نجد فيه كل متع المعيشة، فكل خطوة نقوم بها نفترض أن هناك شخصاً ما يقوم بالمهمة نفسها علينا! .. وهكذا.

-يااه .. فعلاً إن الحياة البسيطة نعمة يتمتع بها الكثيرون ..

-بالتأكيد .. لا يوجد الكثير من المتعة في حياة تعرف أن من صميم عملك أن تكون تحت المراقبة والتقييم لكل نشاط تمارسه في حياتك اليومية.

مضى وقت، وفنجان قهوة شارلوت فارغ، وعبدالله يجلس متكئاً على أريكة مريحة في الركن الذي يجلسون فيه. يستطيع من زاوية جلوسه النظر إلى الشمس وهي في لحظة غروبها.

الناس في الخارج ينفصّون من أماكن عملهم، يسرعون  
 لإنهاء يومٍ نهاره طويل، فما إن تظلم سماء تلك الجزر  
 البعيدة عن العالم، في وسط المحيط، حتى تتوقف الحياة  
 مع إرخاء الليل سدوله.

يشعر عبدالله بإرهاق ما قبل النوم، يتشاءب، يحدث  
 شارلوت عن رغبته في العودة إلى الفندق، فتعرض عليه  
 مرافقتها لتناول العشاء بمطعم في الجوار، يعتذر عبدالله  
 عن الدعوة، لأنه يفضل دائماً العشاء في البيت، عشاء  
 خفيفاً لا يزججه عند النوم. بهم الاثنان بالنهوض.

-دعيني أحمل هذا الطبق.

-لا .. أنا سأتولى إرجاع الطبق.

ولامست يد عبدالله يد شارلوت مصادفة، وبصورة غريبة لا تتكرر كثيراً، ظهرت كهرباء ساكنة عند التقاء أصابع شارلوت مع ساعد عبدالله.

-آوتش .. ماذا كان ذلك؟

متألّمة من شرارة الملامسة أماً مرغوباً ..

-هههه .. لقد شعرت بالأثر كذلك..

وحمل الطبق وهو يبتسم ليضع بقايا ما طلبوه في المقهى بالمكان المخصص لذلك، وفي تلك اللحظات، تنظر شارلوت إلى عبدالله مدبراً، متفحصة جسماً رياضياً قد راق لها منذ زمن طويل، باستثناء "كرش" صغير تطور مع تقدمه في العمر قد بان لها عندما عاد مقبلاً.

أحست بشعور غير مألوف عندما تماسّت اليدان، لم يكن يقع في ذهنها أنها ستلامس "الإرهابي المحتمل" الذي كانت تشرف على مراقبته!

-هيا بنا، لقد حان وقت الذهاب ..

-نعم .. هيا بنا ..

بابتسامة إعجاب تنهض شارلوت خلف عبدالله متجهين إلى باب الخروج، تحاول الاقتراب منه أكثر علّه يتوقف فجأة فتحتك به مرة أخرى، لعبة من ألعاب المراهقة كانت قد تعلمتها من زميلاتهما اللعوبات. يفتح عبدالله الباب لها مستعداً للخروج بعدها مباشرة.

في المركبة، تسأل شارلوت...

-هل اشتقت لأمريكا والعيش هنا .. أعني لأيامك

التي أمضيتها هنا ..

-بالطبع أشتاق، مهما اكتشفت مما بدا لي من كلام  
المراقبة والرصد الذي تحدثت عنه .. كنت وما زلت  
أكرر الجملة التي دائماً أرددها، كلما رأيت ما يسرني، من  
رغد العيش وسهولة الوصول لمراد ما في أمريكا،  
واحتضانها لكل من يحلم بشدة .. كنت دائماً أقول:

« حُقَّ لهذه الدولة أن تكون أعظم دولة في العالم »

-حقاً .. هذا ما تظنه عن بلادنا .. الولايات المتحدة

الأمريكية؟! !!

-قطعاً .. لا أعتقد أن هذه معلومة يختلف عليها

اثنان .. لكن السؤال الذي يجب طرحه .. على حساب

من؟ وعلى أكتاف من تريد بلادك التربع على هذا

العرش؟! !

-لماذا تظن أننا وصلنا لهذا الحد من العظمة على

حساب الآخرين؟!؟

-إنه نظام عالمي معقد لا أفضل الخوض فيه، نحن في

زمن ضاقت فيه مساحة الأسرار فوق الأرض، كل

أوراق اللعب أصبحت مكشوفة على مائدة التاريخ.

خلاصة الخلاصة شارلوت:

هناك من يكتب على السبورة كلمات جميلة مثل

الحرية والعدالة والمساواة ثم يمحو تلك الكلمات بسرعة،

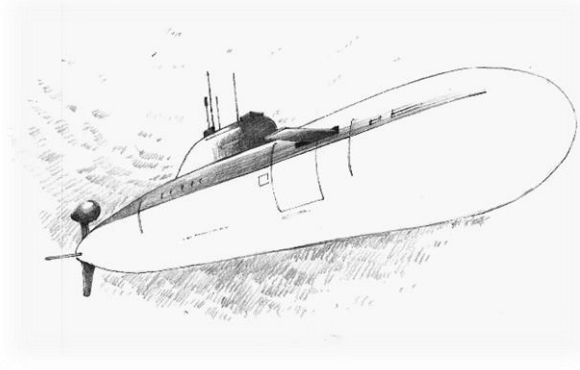
ثم يكتب نفس الكلمات مرة أخرى، ثم يمحوها بسرعة ..

ثم يكتب ثم يمحو .. ثم يكتب ثم يمحو ..

يصلان إلى بهو الفندق في المركبة عائدين، ثم يذهب

كل منهما إلى غرفته منهيين بذلك يوماً طويلاً.

\*\*\*\*\*



## 7

**استيقظ** عبدالله صباحاً في اليوم الثاني كعادته لصلاة الفجر، وقبل أن يصلي ركعتي الفجر، بحث في هاتفه الذكي عن مواقيت الصلاة الخاصة بمدينة هونولولو في هاواي، ليتأكد من صحة توقيت صلاته واتجاه القبلة، لا يوجد في فنادق هاواي ملصق يوضح اتجاه القبلة كما هو معمول به في معظم فنادق الدول الإسلامية.



كان يتذكر أن القبلة في شرق أمريكا أقرب إلى جهة  
(شمال-شرق) بينما الوضع في هاواي يتغير ليصبح  
(شمال-غرب)!

ملاحظة لفتت نظر عبدالله جعلته ينظر إلى العالم من  
وجهة نظر رائد فضاء. يتخيل اتجاه القبلة من هاواي إلى  
مكة. فعلاً الأمر مختلف في الحالة الأخيرة.

في تلك اللحظات شعر بالاشتياق إلى دفء العائلة،  
وأصوات بناته وابنه في بداية يومهم الدراسي، بعضهم  
كان يستيقظ بحزن وضيق، والبعض الآخر بنشاط  
وسعادة. هدوء المكان قبل الصخب جعله يفكر في  
أسرته، وكيف كان يجب أن يوجد بقربهم، حتى لو كان  
مشغولاً عنهم.

الشعور بالبعد عن الأسرة لم يكتشفه إلا مبتدع المثل الشعبي الظريف: "أعزب دهر ولا أرمل شهر"! في غضون ذلك، تأتيه رسالة على هاتفه الذكي، أغلب الظن أنها من زوجته تذكره بالالتزام بالمبادئ الحسنة وترك البصبة هنا وهناك، رسائل لظالما تعود عليها، لكنها لم تكن كذلك.

كانت الرسالة دعوة من شارلوت للاتصال به عند الاستيقاظ. عرف أنها مستيقظة، فالرسالة مرسله منذ لحظات. أراد أن يتأخر في الرد عليها، كان يريد التمتع بلحظات التمدد والاسترخاء بعد الاستيقاظ. توضأ وصلى ركعتي الفجر، ثم كعادته بدأ يومه بتصفح البريد الإلكتروني الخاص به.

تذكر أنها ربما فتحت شرفة غرفتها وجلست تراقب شرفة غرفته لعلها ترى ردة فعله عند فتحه للرسالة. مطمئناً لعدم رؤيتها له، يزيح ستارة باب الشرفة إزاحة يسيرة جداً، في الوقت نفسه يشعر بالحرج من هذا الموقف المضحك، وكأنه يخاف من عقوبة إذا ما افتضح أمره، يرى شارلوت قد جلست ومعها كوب قهوة الصباح، تشم عبير الفجر في لحظات ما قبل الشروق، يشعر بالحرج من تعمد عدم الرد، فينقر على هاتفه الرد:

-أهلاً بك.

صباحك جميل سيدتي.

أنا مستيقظ الآن.

-صباحك أجمل أبدياً. توجد رحلة مع غواصة تنزل  
إلى أعماق المحيط يمكن من خلالها رؤية مخلوقات المحيط  
بشكل مباشر، قمت بحجز تذكرتين بمساعدة قسم  
الخدمات في الفندق، لي ولك، وأرغب في دعوتك  
لمرافقتي. الرحلة ستبدأ تمام الساعة التاسعة.

موافق؟

-آآه، إذا لم أوافق على الدعوة، هل ستغضبين؟  
-حتماً سأغضب، لا ترد طلب امرأة وقعت في حبك  
يوماً ما!

باندهاش وعدم فهم كامل لما تعنيه، يضحك عبدالله...  
-أوكي أوكي .. موافق.

-عظيم، أراك في البهو تمام التاسعة إذاً.

فرحت جداً باتخاذ عبدالله القرار الذي تريده، بدا  
الاثنان وكأنهما في بداية قصة حب لمراهقين مس الغرام  
قلبيهما.

بقيت ساعتان على الموعد. تدخل شارلوت في مراسم  
تزيين قبل النزول للبهو، كل أنثى تحب أن تكون أجمل  
في معية الرجل، فتضع بعض المساحيق "الماكياج"،  
لتجمل وتعزز ثقتها بنفسها، وتزيد رغبتها في الحياة أو  
في العودة إلى الحياة .

يعتقد الكثيرون أن المرأة عندما تضع الزينة على وجهها  
تود الهروب من ذاتها، بينما هي في الواقع تفتش عن  
ذاتها .

قبل تناول أي شيء، يضع عبدالله هاتفه بجانب حاسوبه الشخصي المحمول، ثم يعود لتفحص حسابات البريد الإلكتروني الخاصة به.

بريد إلكتروني يخص الجامعة التي يُدرّس بها، وبريد إلكتروني شخصي للمقربين، وبريد آخر للاستخدام عند شراء التذاكر والأشياء التي لها علاقة بالشراء والبيع، وأي شيء من تبعاته دعاية وإعلان.

بعد ذلك يقوم بتصفح هاتفه الذكي لمشاهدة ما تدفق من رسائل في مجموعات التواصل الاجتماعي الخاصة به، عائلي، أكاديمي، أصدقاء، نادٍ رياضي، لجان رسمية .. الخ. مجموعات لا تنتهي.

يخرج من مجموعة ويدخل في أخرى، ارتباطات اجتماعية يفرضها العرف، وأحياناً طبيعة العمل.

تنزل شارلوت إلى البهو قبل الموعد بساعة معها كتاب لتقرأه، فهي تحب المطالعة لكنها ليست قارئة نهمة. كانت تقرأ " Six Days of the Condor " رواية قديمة نوعاً ما، لكن الفكرة الرئيسة فيها متجددة وتعبر عن الوضع العالمي الراهن بدقة.

ينزل عبدالله قبل الموعد بنصف ساعة ليشاهد شارلوت منهمكة في قراءة الرواية، تبدو غارقة في حوادثها مندمجة في مشاهدتها .

يبادرها بالسلام، وهو يلقي بنظراته نحو الغلاف والعنوان. يتلفظ بعنوان الكتاب ببطء:

Six .. Days .. of .. the .. Condor

-يبدو أن الكتاب مشوّق وأنتِ مستمتعة بقراءته؟!!

-نعم، إنها رواية مميزة، يجب أن تقرأها، أنا متأكدة  
أنها ستروق لك .

-سأفعل قريباً جداً.

دَوّنَ عنوان الرواية في هاتفه الذكي للعودة إليها لاحقاً.  
على الطاولة أمام شارلوت بدت التذكريتان الخاصتان  
برحلة الغواصة .. شكر عبدالله شارلوت على شراء  
التذاكر وطلب دفع التكلفة لها لكنها رفضت.

ضحكة شارلوت:

-أرجو ألا ندخل في مجادلة كما كنتم تفعلون مع أصدقاءكم  
في المطعم عندما يمين وقت الدفع. كنا نضحك كثيراً عندما  
نستذكر مثل هذه المشاهد في أوقات المراقبة، كانت عادة  
أشبه بالفوضى لكنها ظريفة، كنا في الواقع نعدّها سبحة  
رائعة، وفضيلة من الخصال المحمودة لديكم.



يتجه الاثنان إلى مكان رسو القارب الذي يأخذ الجميع إلى وسط البحر حيث الغواصة تنتظر. المدة بين ركوب القارب والوصول إلى الغواصة عشر دقائق. يصطف الجميع في خط منتظم باتجاه القارب الناقل، منهم من جاء وحده، ومنهم من لديه مرافق، وهناك عائلتان في المقدمة.

عبدالله وشارلوت ظهرا معاً كزوجين من عرقين مختلفين، يشعر بالحرص لقربه من شارلوت ومرافقته لها بلا مسوغ مقبول، يؤرقه أيضاً عدم ارتياحه لسيدة هندية ترمقه بنظراتٍ لوامة، لوجوده مع امرأة أمريكية ليست من ثوبه ولا من جنسه!

تنظر شارلوت إلى عبدالله مبتسمة، كأنها استشعرت حرجه، وفهمت النظرات الناقدة من السيدة الهندية، بجرأة مباشرة تخاطب السيدة الهندية:

-نحن مجرد أصدقاء ..

تتراجع السيدة الهندية قليلاً عن مكان وقوفها، يخالجها الخجل، ممسكة بيد زوجها، معلنة انسحاباً ضمناً بابتسامة منهزمة، ورغبة بعدم الدخول في حوار مع شارلوت.

ابتسم عبدالله عند حدوث الموقف كأنه استحسن فعل شارلوت، وأحس بأريحية أكثر، كأنه وجد مسوغاً للاستمتاع برفقتها.

كان منظر هاواي من القارب فعلا كما هي جملة قبطان  
الطائرة، التي نزلت بعبدالله في المطار قبل يومين، قال  
القبطان عند هبوط الطائرة على المدرج:

Welcome to paradise!

استهجن عبدالله الجملة من الطيار على تشبيهه قطع من  
الجزر بالجنة الحقيقية، لكنه رجع إلى نفسه، وأوّل كلام  
القبطان على أنه تعبير مجازي، ولا يقصد به الجنة  
الحقيقية.

الكل في المركب، بين واقف وجالس، عبدالله  
وشارلوت، ممسكين بسيّاح القارب يتنفسان هواء نقيّاً،  
لم يخطر ببال عبدالله أنه سيرى مجموعة مناظر خلافة في  
غاية الإبداع كهذه، كلها اجتمعت في مكان وزمان  
واحد.

كان منظرأ يثير الإعجاب:

بدت السماء ملتحفة بالغيوم، وفي الوقت نفسه، يخترق  
الغيوم قوس قزح ساطع الألوان، مباني المدينة على  
مقربة من الشاطئ، تبدو حديثة جداً وجميلة، كأنها  
تقف بجوار بعضها البعض بانتظام، بالقرب من الشاطئ  
الأخاذ، تلاعبه أمواج المحيط المناسبة جيئة وذهاباً، كان  
للهواء رائحة كرائحة الزهور، وخلف المدينة جبال  
راسيات مختلفة الأحجام تتداخل معها الغيوم، كأنما رُسم  
المشهد بريشة فنان ماهر. إنما في تلك اللحظات المشهد  
حقيقة وليس لوحة فنية.

بشعور رومانسي بعد استنشاق نفس طويل محمل بهواء  
نقي، يقول عبدالله بصوت مبين:

" ما فائدة المنظر الجميل إذا لم يكن بجوارك أحد  
تقول له ما أجمل هذا المنظر".

جملة قرأها في كتاب وألقاها على مسامع شارلوت  
مستعرضاً ثقافته وأدبيات كان يقرأها ..

مسكين هو الرجل، لا يفتأ يختال في حضور المرأة.  
لم تستهيو الجملة شارلوت كثيراً ربما لعدم ملائمة الترجمة  
التي اجتهد فيها عبدالله، معتقداً بجلاوة الجملة في  
اللغتين!

تشاهد شارلوت خروج الغواصة من وسط المحيط...

-انظر هناك .. الغواصة ..

لشخص لم يجرب البحر، ولم يخرج في رحلة بحرية  
مطولة على مدى حياته، شعور مهيب عندما يرى المرء  
الجزء العلوي للغواصة يخرج من وسط المحيط. في

البداية، تبدو الغواصة كقرش ضخم بزعنفته العلوية المخيفة، ثم تعلق شيئاً فشيئاً حتى يظهر سياج حديدي صغير فوق سطحها، يحف السياج فتحة يخرج منها ثلاثة حراس يرحبون بالسياح ويساعدون في نقلهم من المركب إلى الغواصة.

-واو!! إن لحظة دخول الغواصة منظر مهيب لا

يحظى برويته الكثير .

بحماس وتلهف تتحدث شارلوت مع عبدالله وهي ذاهبة إلى المكان الذي فيه ينزل الجميع من القارب إلى الغواصة، بعد عملية الربط والالتحام.

-سنحب الرحلة أبدولاً صدقي .. لم نشهد شيئاً

بعد ..الكتيب يذكر أننا سنغوص على عمق كبير.

دخل الجميع في الغواصة، تبدأ بالنزول شيئاً فشيئاً،  
والمؤشر الرقمي يومض بدرجة العمق الذي تصل إليه  
الغواصة، بازدياد حتى يتعدى المائة قدم، ولمدة خمس  
وأربعين دقيقة، تتجول الغواصة في أعماق المحيط، بين  
مخلوقات بحرية متعددة الأشكال والألوان، أسماك،  
سلاحف، شعب مرجانية، سفن بحرية من مخلفات  
الحرب العالمية الثانية، طائرات نفاثة من بقايا فاجعة  
الهجوم على ميناء اللؤلؤ Pearl Harbor.

-كان هجوم اليابانيين عليكم شديد الوطأة، أليس  
كذلك؟

-بالتأكيد كان فاجعة، أو إن شئت قُلْ نكسة.

لقد كان أحد الأسباب التي أدت إلى إنشاء وكالة

الأمن القومي NSA !

-تماماً كما حصل بعد حوادث الحادي عشر من

سبتمبر وقانون الحماية Patriot Act!؟

يا لظرافة التاريخ كيف يعيد نفسه! ما أشبه الليلة

بالبارحة.

-أتفق معك في ذلك.

لماذا يبدو لونك أزرق أبدو لا؟

تستفسر شارلوت وهي تقترب من أذن عبدالله لسمع

سؤالها لكثرة الصخب والضوضاء داخل الغواصة. كل

الألوان تبدو زرقاء في هذه اللحظة.

يرد عبدالله عليها واضعاً يده اليمنى بشكل مقوس على

فمه بالقرب من أذن شارلوت، رافعا صوته ..

-إنها ظاهرة تسمى امتصاص الألوان. يختفي اللون

الأحمر على عمق بضعة أمتار عند نزولنا، ثم البرتقالي،



يليه الأصفر، وهكذا تتغير ألوان الطيف حتى وصلنا  
كما ترين للون الأزرق !

-تفسير علمي شائق. لقد تذكرت شيئاً سيعجب  
اهتماماتك العلمية. هل تعلم أن الجيش الإسرائيلي يطور  
بدلة عسكرية تتغير ألوانها بتغير المكان الذي يكون فيه  
الجندي. تماماً كما تغير الحرباء ألوانها!

-الجيش الإسرائيلي!

هل تتعمدين التحدث عن إسرائيل لتعرفي مدى  
عداوتي لدولة إسرائيل؟

-لا، لا، أرجوك لا تُسيء فهمي.

أفهم رأيك، الصراع قديم، والجدل فيه عقيم.

-على أية حال، أنا لا أنجل من ذكر رأيي في هذه

المسألة. إسرائيل تبقى دولة أنشئت ظلماً، وفلسطين

تبقى دولة محتلة. والإسرائيليون يبذلون جهداً هائلاً في الاستعداد لحرب كل من يجاورهم، لأنهم يعرفون أن الأرض التي هم عليها محتلة!

من الصعب على المظلوم سيدتي شارلوت أن يعيش مع الظالم بسلام.

-لم أكن أعرف أنك من أنصار الحروب.

-لا أبداً، أرجو ألا تفهميني خطأً. أنا أحب السلام

وأدعو إلى اتقاء الحروب. كل ما في الأمر أنني أحب

أن يعامل الإسرائيليون أصحاب الأرض، كما عامل

المسلمون أصحاب الديانات الأخرى عند دخولها أول

مرة، يوم كانت القدس قولاً وفعلاً وحقاً مدينة للسلام.

-كل ما أستطيع قوله لك أنكم لن تنتصروا على

إسرائيل ما دمتم على وضعكم الراهن، دول الجوار

لإسرائيل، وأتم العرب خاصة، تنجحون كأفراد، لكنكم تفشلون كجماعات. العداء بينكم وبين إسرائيل قديم ومتشعب، دعنا لا نتوغل فيه. كيف ترى رحلة الغواصة حتى الآن؟

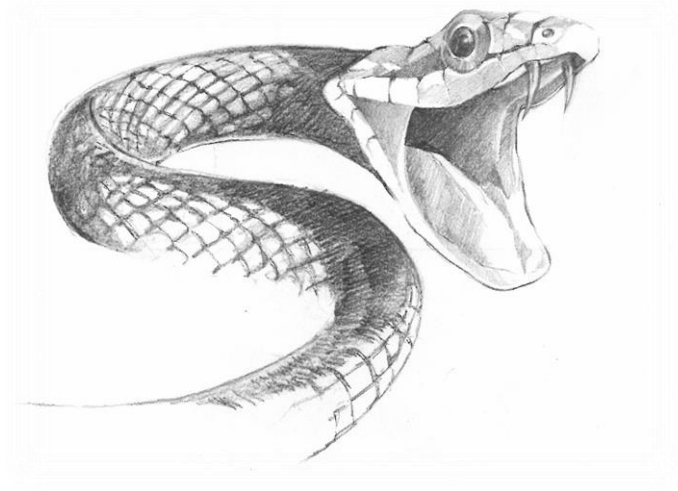
-لا أعرف كيف فوّتُّ رحلة الغواصة عند زيارتي لهاواي أول مرة. أشكركِ جداً على الدعوة. إنها فعلاً تجربة مميزة.

-لا داعي للشكر. كنت أعرف أنها ستروق لك.  
هاواي تخبي أيضاً الكثير من الأسرار!  
-أسرار؟!!

في هذه اللحظة، يعلن قبطان الغواصة عن انتهاء خط سير رحلة الأعماق والوصول إلى السطح للالتحام مرة أخرى بقارب العودة إلى الشاطئ.

كعادتها، تترك شارلوت عبدالله محملاً بكم من الأسئلة التي لا تهدأ عن تلميحاتها الاستخباراتية. هل كانت تقصد أسراراً سياحية، أم أسراراً مثل المكان الذي كان يعمل فيه السيد سنودن! الاثنان معاً، توافقا على تناغم الرغبات. هي تحب البوح بكل ما تعرف لشخص ترتاح له، وهو مغرم بإثارة عالم الاستخبارات والمجاسوسية.

\*\*\*\*\*



## 8

يتفرّق السيّاح عند الوصول إلى الشاطئ، وتبدو  
على الجميع نشوة سعادة خلفتها رحلة الغواصة الترفيهية ..  
تجربة لا يحظى بها الكثيرون، فقط يشاهدونها على  
قنوات مثل:

Discovery و National Geographic

مع أن السماء تبدو صافية إلا من غيوم متناثرة، لكن المطر بدأ ينزل كذاذ متقطع على الجزيرة، وفي الوقت ذاته كان هناك شعاع للشمس يرسل خيوطه اللامعة على الساحل. يمشي عبدالله وثباً، إلى أقرب مكان مغطى، لتجنب رذاذ المطر، ويلجأ إلى مظلات تخص مجموعة من الدكاكين التجارية الملاصقة للفندق. تتبعه شارلوت بضحكات ساخرة من بطمها مقارنة به. يقترح الجلوس عند محل عصائر في الجوار، لِيَتَنَاوَلَا عصائر هاواي الملونة الطازجة. تستحسن شارلوت الفكرة.

-قلتِ إنّ هاواي تحمل الكثير من الأسرار .. إلى

ماذا كنت ترمين؟

-متى يتوقف نهماك عن حب الاستطلاع في مثل  
 هذه الأمور؟ ستموت وأنت عاشق لمجال لن تصمد  
 سنة واحدة في العيش داخل دهاليزه!  
 -ههه. أنتِ تذكّريني بجملة "جاك نيكلسون" في  
 "حفنة من الرجال الطيبين" عندما قال بتعجرف:

You want the truth?

You can't handle the truth!

لا أخفيك سرا شارلوت أنني أحمل درجة هينة من  
 "جنون الارتياب". سميه افتتاناً أو نوعاً من الهوس.  
 نحن سيدتي ضحية الحقبة التكنولوجية التي نعيش فيها.  
 لم يعد التجسس على شخص ما أمراً صعباً، فبعد أن  
 كانت هناك وحدة كاملة تراقب شخصاً واحداً، الآن بأمر  
 تحكم على حاسوب متقدم، يمكن للتكنولوجيا الذكية أن

تحيط بجميع جوانب حياتي اليومية، لست أنا فقط، بل  
ومن يعيش في دائرتي الاجتماعية. إذا، الوهم الذي  
أعيشه له مبرر. أرجو أن تقلّي عليّ اللوم.

هل ستبدئين بحديث الأسرار؟؟

ما المثير في هاواي؟؟

بتفهم لطلب عبدالله ..تبدأ شارلوت بالتحدث عن تميز  
هاواي الاستخباراتي، بعد أن جلسا وقدم النادل كأساً  
لشارلوت بكوكتيل متتابع الألوان، تعلو حافته قطعة  
أناناس مثبتة، صغيرة الحجم، بينما عبدالله يحصل على  
طلبه، قطعة جوز هند متوسطة الحجم بدون كأس، تم  
قصصة أعلاها بشكل فني محترف، ووضع العود الماص  
بداخلها.



-هنا يوجد مركز استخباراتي خاص بوكالة الأمن القومي NSA، وهو واحد من أربعة مراكز رئيسة في الولايات المتحدة، لا يوجد في العالم أعتى منها تقدماً وتطوراً. المراكز الأخرى في تكساس، كولورادو، وجورجيا .

-يبدو أن هذا هو منجم الذهب الذي وقع عليه سنودن.

-نعم، فقد ذكر أنه حصل على كثير من الوثائق السرية التي بجوزته من هذا المركز.

-إلى أي مدى -في رأيك- تريد الولايات المتحدة احتواء هذا العالم بالمراقبة؟ هل تدرك عمق الهاوية التي تنحدر إليها؟ هل يوجد حدود لهذا الأمر؟

-الأمر ليس بهذه البساطة يا عزيزي. أتمنى أن يكون  
عندي رد بسيط يبين لك أبعاد هذا الأمر.  
الموضوع أشد تعقيداً. فهناك أبعاد تجارية، وتكنولوجية،  
وأمنية، وهناك أيضاً أبعاد سيادية، ويمكنني أن أقرب لك  
المشهد بهذه القصة:

" من قصص الشعوب الجميلة، ذات المعاني الجليلة،  
أن ثعبانا كان يقف على قارعة الطريق ويلدغ المارة في  
قرية صغيرة. بعد أن ضاق أهل القرية من أمر هذا  
الثعبان، طلبوا من رجل حكيم أن يتحدث إليه، ويقنعه  
بعدم استخدام العنف ولدغ المارة وقتل الأطفال.  
ونزولاً عند رغبة الحكيم، ترك الثعبان ذلك. ومرت  
أعوام، ومع مرور الحكيم بالقرية نفسها، وجد الثعبان قد  
رجم من قبل أطفال القرية، وهو فيما بين الحياة والموت.

سأل الحكيم الثعبان مستغرباً عما حدث له؟ قال  
الثعبان: هذه نتيجة ما طلبت مني فعله بعدم استخدام  
العنف!

قال الحكيم: لقد أسأت فهمي، قلت لك لا تلدغ  
المارة، لكنني لم أقل لا تخوفهم بالفحيح!"

نالت القصة استحسان عبدالله بشدة. فرح بها، وكأنه  
وجد مبرراً لما تقوم به الولايات المتحدة والدول الأخرى،  
في التجسس ومراقبة الشعوب، يعلم في قرارة نفسه،  
خطورة موضوع التوازن بين الخصوصية والأمن، فغالباً  
ما ترجح كفة الأمن.

لكن مقولة بنجامين فرانكلين تعلن حضورها دائماً:  
"من يضحى بالحرية من أجل الأمن لا يستحق أيّاً  
منهما".

يا لها من حكاية ذات مغزى. ما يستهويني في الأمر هنا سيدتي هو البعد التكنولوجي. إن حكم للسلطة ومن يعمل في مجال عملك، يجعل من أجهزة المراقبة وملحقاتها بمثابة إنسان في داخل إنسان.

الجهات الحكومية وشركات التكنولوجيا المتعاقدة مع تلك الجهات، لا يفتؤون يطورون برمجيات ووسائل تلصص في غاية الاختراق والتأثير على حياتنا اليومية.

قراءتي لما يستجد في عالم تكنولوجيا المعلومات والنشاط الاستخباراتي، سواء الواضح منها أو المستتر، يشعرنى بالفرع من اقترابها حتى إلى عقلنا اللاواعي.

هناك خوارزميات في محركات البحث على الشبكة، وفي بعض الأحيان مزروعة في التطبيقات التي

نستخدمها في هواتفنا الذكية، لا نستطيع فقط التنبؤ بما يمكن أن نفعله، لكنها أيضاً تستطيع التلاعب بقراراتنا! تتغلغل هذه البرمجيات في أغوار النفس الإنسانية بطريقة مدروسة ومخيفة. تدرّب نفسها بنفسها، على شكل شبكة أعصاب ذكاء اصطناعي.

مدهش هو الإنسان عندما يحاول سبر أغوار أخيه الإنسان.

مما قرأت وأفزعني، أن صحافياً مميّزاً، حصلت له أحداث لكنها لا تبدو محض مصادفات، إنما بتحليلها، يظهر نمط واضح وبيّن، لبرمجيات مفزعة تراقب الأفراد. يرشف عبدالله رشفة من ماء جوز الهند، يستشعر فوائده مع الارتشاف، علق مستطرداً: يستعمل

الكثيرون ماء جوز الهند كبديل للمشروبات الرياضية.  
مكماً حديثه ومستأنفاً:

-كان الصحافي يتذكر أنه قد ابتاع مكسرات البندق  
في الأسبوع الماضي. صاح بزوجه وهي بعيدة في غرفة  
أخرى متسائلاً عن مكان البندق وأين وَصَعْتَهُ. في  
الجانب كان هاتفه الذي على الطاولة في حال الشحن.  
نزع الهاتف من المقبس وبدأ يتصفح موضوعاً كان ينتظر  
صدوره إلكترونياً.

بدت الإعلانات الجانبية على المتصفح معظمها يدور  
حول مكسرات البندق!

البندق .. فوائد البندق .. اشتر مكسرات البندق  
واحصل على عروض مميزة ..

هل يا ترى التقط الهاتف الذكي كلمة " البندق " وحفظها في مكان ما، ثم استرجعها في متصفح الهاتف. هذه الأشياء لم تعد صعبة على البرمجيات الحديثة. ولم تكن تلك الواقعة هي الوحيدة التي حدثت معه، ففي الشهر نفسه، وبينما هو مع صديق له بمعرض فنون في هوليوود، وجد بريده الإلكتروني خلال اليوم الثاني مملوءاً برسائل تشجع على الاستثمار في الفن واللوحات الجميلة!

الرابط ببساطة أنه في طريقه إلى المعرض، طلب من خرائط "Google" عنوان مكان المعرض الذي يستضيف دائماً معارض كثيرة في الفن.

وبالمثل أيضا متصفح "YouTube" يتعرف على الأمور المفضلة لديك في البحث والمشاهدة، ومن ثم

يقترح مقاطع تتوافق مع تفكيرك واهتماماتك، كأنه عقل

هامشي يعمل بجانب عقلك الأساسي!

هذه الحزمة من البرمجيات تستخدم من قبل شركات

تجارية ولأغراض تسويقية. كل ما عليك أن تخمن الآن

كيف تعمل البرمجيات المتقدمة التي في يد أجهزة

الاستخبارات العالمية؟!

ألم أقل لكِ نحن في عالم مخيف؟!!

-هذا ما تعرفه .. وما خفي عليك أعظم.

-أنا أو من أن هناك حقائق من الأفضل ألا نعرفها.

-إذًا، ما رأيك أن تأخذنا إلى الصرعات التكنولوجية

في الموضوع فقط؟

-إذا كنتِ ترغبين .. هذه بعض الأشياء التي سنراها

في المستقبل القريب، في نظري.



هاتفك الذكي هذا لن يكون هناك حاجة لشحن بطاريته كل يوم، الشاشة ستكون هي الشاحن الرئيسي. تكنولوجيا حديثة تعتمد على مميزات الخلايا الكهروضوئية.

حاملًا هاتفه الذكي، وهو يمثل قدرته على طي الهاتف بمرونة، كما يطوي الأطفال بطاقة محالّ البيتزا الممغنطة التي توضع على ثلاجة المطبخ، يقول:

-أيضاً الصلابة والوزن في هذا الهاتف الذكي، سيختفيان تدريجياً، لأن الهاتف سيصبح مادة قابلة للانحناء والطي بسهولة.

ترد شارلوت مضيئة ومنتقلة بالحديث إلى موضع آخر:  
-نحن في الحقيقة لم يكن بيننا وبين المتعاقدين أصحاب التكنولوجيا علاقة حميمة.

وأنا شخصياً عملي إداري بحت، ونستعين بالمتعاقدين في حال عدم فهمنا للتكنولوجيا، لكني سمعت فيما سمعت، ما يجلب القشعريرة للبدن ذات يوم، وهو ما يسمى بتكنولوجيا إعادة بناء الصوت.

لا أعرف تفاصيل هذه التكنولوجيا، لكن سيكون بالإمكان إعادة بناء محادثة تمت في غرفة معينة قبل وقت معين!!

ربما هذا يفسر وجود بعض المنشآت الاستخباراتية بلا شبايك أو نوافذ!

في السابق، كانت الحكومات تطلب من المتعاقدين أشياء معينة، ثم تغير الحال، الآن هم يعرضون علينا ما يمكن استخدامه. بل أحياناً يجبرون الحكومات على شراء التكنولوجيا!

-هه .. تقصدين بشريعة المافيا:

I'm going to make him an offer he can't

refuse!

بضحكة هستيرية محملة بتعب رحلة الغواصة الصباحية  
توافق شارلوت عبدالله على حديثه، مستذكرة الجملة  
الشهيرة التي يستخدمها Vito Corleone في رواية  
The Godfather، جملة كان يستخدمها لابتزاز  
أعدائه.

-نعم .. نعم. ثقافتك الهوليوودية متجلية أبدياً!

بالضبط هذا ما يحدث. لكن بوتيرة أكثر رقياً من  
طريقة العصابات. في النهاية، هي شركات تسعى وراء  
التكسب، والتكسب فقط.

وبينما كان الحديث يدور بين الاثنين، توقفت فتاة صغيرة جداً، تبدو في الرابعة من عمرها، انسلت من أحضان أمها التي تجلس إلى طاولة مجاورة، ملاحظها توحى بأنها من خلفية لاتينية، وقد كانت صبوحة الوجه، مفعمة بالبراءة والنشاط ..

وقفت تنظر إنيصات عبدالله لشارلوت، كأنها تتفقد ملامحه. لم يعرها اهتماماً في البداية، لكن سكونها المبالغت لفت نظره. ترك الانتباه إلى شارلوت ونظر إليها بابتسامة أب يحنو على أطفاله. التفتت شارلوت لتفاجأ هي الأخرى بصمت الطفلة ووقوفها الغريب بجانبها، قالت بلا تردد، وبصوت مرتفع:

She's adorable

أومأت بعدها الطفلة إيماءة رقيقة ثم انصرفت بخجل.

يوافقها عبدالله الرأي ..

-هؤلاء الأطفال زينة الحياة الدنيا. لقد اشتقت

لأسرتي كثيراً. الصغار حتماً ينتظرون عودتي.

-أخبرتني أن لك أربع فتيات وولد.

هل لي برؤية صورهم إن كنت لا تمنع؟

-لا أجد ما يمنع .. لحظة؟

يفتح الهاتف الذكي الذي بيده مستخدماً كلمة سر

طويلة تنبئ عن مخاوف مدفونة من التلصص على

هاتفه. يعرض لها مقاطع فيديو وصورًا، كان يلتقطها من

وقت إلى وقت لأبنائه .

تتمعن في ملامح الأولاد. لا يوجد من يشبهه كثيراً،

سوى الابنة الصغرى وأخيها. يملكان عيني أيهما وبعض

ملامحه. والولد يشبه أحداً تعرفه جيداً !

إنه سر في منتهى الخطورة، لن تبوح به لعبدالله، حتى تتأكد من عودته إلى بلاده.

-تبدون عائلة سعيدة.

-للعائلة الكبيرة سلبياتها.

-لماذا تحبون الإنجاب كثيراً؟

- Natural Selection !

-هاهاهاها !

إذا أنت مسلم وتؤمن بأفكار داروين؟

-ليس بالضبط. أرى أنه بذل جهداً مميّزاً في العلم،

وليس كل ما جاء به صحيحاً مطلقاً، أو خطأ تاماً.

لست مع من يصنف الآخر قديساً أو إبليساً.

أحب العلم، وأحترم العلماء.

-أتفهم.

تقول ذلك وهي تتساءل في قرارة نفسها، كيف تبوح له بالسر الذي تعرفه، كيف سيكون وقعه عليه.

طرأت عليها فكرة إخباره بالسر عند سفره. ثمّة شيء يأتي في روعها كنغمة تحذير من عواقب إخباره بالسر المخبأ.

-لقد وجدت شراب جوز الهند هذا رائعاً بالنسبة

لي. إنه لذيذ وسائغ. كيف وجدت شرابك؟

-رائع، رائع.

منتبهةً بعد أن كانت مستغرقةً في تفكيرها غير منصتةٍ إلى بداية ما تلفظ به. تراه وهو يحاول كسر قطعة من الغلاف الأبيض لجوز الهند، يلتهم القطعة وهو ينظر إليها.

متحدثاً معها:

-لقد حان الوقت لكي نذهب إلى غرف الفندق.  
كنت قد وعدت أسرتي أن نتحدث بالصوت والصورة  
عبر برنامج محادثات مجانية. لكن قبل أن أذهب،  
دعيني أدعوك إلى رحلة قصيرة على الطريق في مكان  
أعرفه في هاواي .. الخامسة مساءً يناسبك؟

سنلتقي بالمكان نفسه في بهو الأبراج.

-موافقة .. لا مانع لدي .. أراك عندئذ.

-اتفقنا.

يللم كل منهما حاجياته من على الطاولة مستعداً  
للذهاب إلى الأبراج المجاورة، حيث يقطن الجميع.

\*\*\*\*\*





## 9

**كعاداتهم** الأولاد يتناحرون على زاوية الكاميرا حيث يتحدث عبدالله مع زوجته وأولاده .. الابنة الكبيرة تطلب من أيها حقيية يد لماركة تجارية عالمية ليست متوفرة في بلدها، لتتفاخر بها بين صديقاتها. الأخريات غيرةً منها يطلبن الطلب نفسه، إلا الصغيرة تريد هدية غريبة. سألت أباها أن يشتري طائرة صغيرة

بكاميرا عالية الجودة لتصور حديقة البيت الذي يقابل  
بيتهم ..

إنه بيتٌ أشبه بالقصر. تسمع كثيراً عن جمال تلك  
الحديقة، وأن القصر يعود لأرملة كانت زوجة لحاكم سابق  
ولم ترزق منه بأطفال، كرست وقتها لرعاية الحديقة  
والاهتمام بها.

أما الابن فطلب من أبيه أن يعلمه قيادة الدراجة النارية  
إذا رجع، لا يريد هدية، لكنه استغل الحديث عن  
العطايا ليظفر بحظوة من أبيه لظالما كان يستحث أباه  
في تحقيقها.

الزوجة تطلب من الأولاد الانتشار في البيت وإعطاء  
فرصة لها للحديث مع الزوج بانفراد، تسأله بلهفة: هل  
تجبنني؟

يجيب عبدالله بعد تردد ووجل، كأنه يرى في نظراتها شكوكاً وريبة مدفونة. حتماً هو لا يريد أن يفتح موضوع شارلوت معها، لكنه في الوقت نفسه يعرف طبيعة المرأة عندما تعلم بحدوث شيء ما عند الرجل الذي تحبه.

-نعم، بالطبع أحبك.

لماذا تسألين؟ وهل بعد كل هذه السنين تشكين في محبتي لك.

-أنا سألتك سؤالاً فقط وأريد منك جواباً لا تعليقا؟!!

-نعم .. نعم، أحبك.

حسنٌ، حسنٌ إذا، هذا كل ما أردت سماعه منك.

أستودعك الله، نحن في انتظار عودتك .. نحن في انتظار عودتك.

أغلق عبدالله التطبيق من الهاتف وهو متوجس من نظرات زوجته غير المألوفة. يحدث نفسه، كيف تعرف الأنتى أن الرجل يتغير. ينظر في مرآة غرفة الفندق الضخمة، يغير ملامح وجهه، عله يظفر بتعبير مغاير لما يضمّر في نفسه، هل يستطيع يا ترى أن يعبر وجه الإنسان عن الحزن في حالة الفرح، أو عن الفرح في حالة الحزن!؟

ما الذي تراه المرأة في الرجل عندما يتحدث مع امرأة أخرى غيرها. هل هي الريبة أم هو هرمون يصنع هالة على وجه الرجل لا تراها إلا النساء الحاذقات!!

يستعد للقاء شارلوت في البهو، بعد أن تأكد من ظهوره بلباس أنيق يظهر رجولته، يضع رشّة عطر مميز، يجمع بين سحر العطور العربية، وإبداع الروائح الباريسية،

رشة خفيفة جداً، كان قد قرأ في كتاب يتحدث عن فن  
الآداب العامة "الإتيكيت"، أن العطر يجب ألا يُرش  
بكمية كبيرة عند الخروج في الأماكن العامة.

يغادر الغرفة بعد التأكد من وجود البطاقة الممغنطة لفتح  
الباب بجيبه، أخذ قنيتي ماء وعصير، لأنهما سيمشيان  
قليلاً بجوار البحر، عند ممشي جميل كان قد عرفه في  
رحلته السابقة لهاواي.

يقابل شارلوت في البهو وقد ارتدت لباساً رياضياً خفيفاً  
جداً.

-تبدين أصغر سنّاً في هذا اللباس.

-أشكرك.

-أنتِ جاهزة؟!!

سمنشي كثيراً اليوم.

-أين سنذهب؟

-دعي القيادة لنا وتمتعي بالرحلة.

-لا أمانع .. أحب الرجل الذي يأمرني في موضع

كهذا.

-آههااا .. هذا طبع يحبه الرجال، أنتِ إذاً تملكين

بعض صفات الزوجة المطيعة؟!!

بضحكة سريعة تمازح عبدالله وهما يبهمان بولوج المركبة

التي استأجرها عبدالله من المطار .. سيارة رياضية

ذات سقف متحرك.

-يبدو أنني قد لفتّ نظرك. هذا ما تريده أنت من

المرأة، زوجة مدعان؟!!

تستطيع الزواج بي إن شئت؟ لك الحق في أربع

أليس كذلك؟!!!!

فاجأت عبدالله جراً شارلوت وسرعة انتقالها إلى  
موضوع جوهري مثل الزواج.

فرد بابتسامة:

-هل أعتبر هذا الطلب رسمياً منك لأتزوجك

سيدتي؟

ترد شارلوت بغنج لا يتناسب مع عمرها:

-أنا لا أرى مانعاً، إلا إذا كنت أنت لا ترغب في

ذلك؟

-أنا لا أتخذ قرارات بهذا الحجم بهذه البساطة.

-هه .. يعجبني تصنع الحكمة بعد سنين طائشة.

بدفاع ممزوج بمرح يرد عبدالله:

-لماذا تصرين على أنني كنت طائشاً؟ كيف لي ألا

أكون طائشاً إذا كنت تراقبين كل حركاتي وسكناتي.

يفتح سقف المركبة المتحرك ليداعبها نسيم الهواء.  
 الاثنان يشعان بالانتعاش بعد خروج السيارة من  
 منطقة المواقف المظلمة في الأسفل، إلى الشارع الوضاء  
 بنور الشمس مع الغيوم الملبدة في لحظات أخاذة.  
 يتوقف عند إشارة ضوئية تؤدي إلى شارع موازٍ  
 لشاطئ هونولولو .

-إلى أين نحن ذاهبان؟

بكر طفيف يعلو نغمة حديث عبدالله:

-قلت لكِ دعي القيادة لنا وتمتعي بالرحلة. نحن  
 نقرب كثيراً من المكان. إنه أكثر مكان رومانسية في  
 جزيرة هونولولو. هل تعرفين أن أصل اسم عاصمة  
 هاواي "هونولولو" له جذور عربية!!



تنظر شارلوت نحو عبدالله، ملقبة عليه نظرة امتعاض  
وتبرم:

-أتم تعزون كل شيء لكم .. ألا تشعر بالغيثان  
عندما تتغنى الشعوب بمواهبها وإسهاماتها في الماضي.  
-إنها مجرد معلومة تقبل الخطأ وتقبل الصواب. الأمر  
نقاش ظريف شارلوت، لا تفسديه بتحليلات متكلفة.  
-هه .. هات ما عندك.

تفضل ما هو أصل الاسم؟

-هونولولو مشتقة من كلمتين في اللغة العربية "هنا  
لؤلؤ". قرأت أنه أُطلق على هذه الجزيرة بعد وصول  
بعض البحارة العرب إلى هذا المكان في حقبة زمنية  
بأيدة.

-أستيحك عذرا أبدولا، تبدو هذه المعلومة  
 مضحكة، لا يمكن .. متى وكيف وصلوا إلى هنا؟!!!  
 يتسم عبدالله بلا دفاع مستميت عن المعلومة لكنه  
 يتعجب من إصرار شارلوت على خطأ المعلومة .. ثم  
 استغل جمودها الذهني في هذا الموضوع، ليجازحها قائلاً:  
 -إنها معلومة مدعومة بتشابه النطق بين الاسمين ..  
 أظنها معلومة أقرب إلى الصواب من الخطأ.  
 لك الحق أن تعتمد على ظنك فيما تشاء.  
 -حسناً، حسناً .. لن أخوض معك في جدال عقيم.  
 ها نحن قد اقتربنا من المكان الخلاب.  
 -أظن يا أبدولا، مجرد جلوسنا في مواقف المركبات  
 هنا، مع هذه السيارة مكشوفة السقف يبدو رائعاً. هل  
 ينبغي أن ننزل؟

-نعم، أرى أن نمشي قليلاً جيئةً وذهاباً، على يمين  
وعلى شمال ذلك المقعد الذي يتسع لشخصين.

قبل سنين طوال، عندما زرت هاواي للمرة الأولى  
عزباً، كنت أجلس في هذا المكان وحيدا أتأمل. أمضي  
وقتهاً ممتعاً مع نفسي في التفكير بجمال هذا المكان.

-لم يكن معك أحد؟

-نعم، لم يكن معي أحد. يحتاج الإنسان أحياناً أن  
يجلس مع نفسه.  
-هيا بنا.

ينزل الاثنان من المركبة، بعد أن يغلق سقفها المكشوف  
بتأن، خشية سقوط قطرات المطر على أثاثها الداخلي.  
يتجه الاثنان نحو المشي الباهر بمحاذاة الشاطئ.

يمشيان:

هل تسمحين لي بسؤال شخصي جداً؟

-تفضل .. أعتقد أننا نفهم بعضنا كثيراً الآن، أنا

أعرفك جيداً ولا أحتاج إلى اكتشاف شخصيتك .. وها

أنت تتعرف عليّ أكثر وأكثر في يومين فقط.

هل وقعتِ في حبِّ أحد؟ أنا أعرف أن طبيعة

عملك سرية جداً، لكن لا بد للإنسان من الوقوع في

الحب، في أي شكل من أشكاله، وبأي درجة من

درجاته.

-إمممم.

أستطيع القول إنني وقعت في الحب. كنت أخفي حباً

لشخص ممن عملت معهم. كان يكبرني سنّاً في وقتها،

وفي درجة وظيفية أعلى مني مرتبة. كانت لديه حكمة

ورجاحة عقل، لا أجدهما في نظرائه من الرجال. كانت

بيننا "كيميااء" إن شئت أن تسميها، لكنني وضعت  
حدوداً بيني وبينه لأنه كان متزوجاً.

أقصى ما انتهينا إليه قبلة اختلسها مني في رحلة عمل  
كنت أرافقه خلالها.

لم أكن أحب السفر في رحلات العمل لأنها تكسر  
الحواجز بين الموظفين، إذا لم ينتهوا لذلك، لكنني  
وقعت في شرك سحر حضوره وهيبته مقامه.

-إذا أنتِ تفضلين الانعزال، لا تحبين من أحد أن  
يقرب خط التماس لمنطقة الراحة الخاصة بك؟  
-تستطيع قول ذلك.

يتوقف الحديث بين الاثنين وكأن كلاً منهما يسير وحده  
بلا مرافق. هدوء مفهوم بين الاثنين، استراحة من  
الحديث وتأمل في اللحظة.

وبعد قطع مسافة ليست باليسيرة، بدت شارلوت لأنها  
 الأكبر سناً، تشعر ببداية إجهاد ظهر عليها من المشي.  
 تلهث، وبصوت متقطع، مشيرة إلى مقعد بمحاذاة  
 الممشى تقول:

-هل لنا أن نجلس هنا.

-بالطبع .. تفضلي، هيا نجلس.

يعطيها عبدالله قنينة ماء صغيرة كان يحملها في شنطة  
 رياضية صغيرة يعلقها على ظهره.

-شكراً. يبدو أنني أقل منك لياقة بدنية. لم أعد كما

كنت أحتمل المشي لمسافات طويلة.

تشير بجذر إلى تقدمها في السن ودخولها مراحل  
 المشيب!

يرد عبدالله مجاملاً وهو يجلس:

- المشي الطويل متعب بلا شك.

يجلس الاثنان أمام مشهد جميل، الأمواج من تحتها  
تضرب المنصة الشاطئية التي وضعت خصيصاً بجوار  
الممشى، والغيوم تحجب عين الشمس لكنها لا تستر  
شعاعها، والجبال في الجوار شامخة، والشارع بهدوءه  
المطمئن إلا قليل من المركبات التي تمر في أوقات  
متباعدة، وكأن المكان والزمان تواطأ على تهيئة المكان  
لحديث مشوق بين عبدالله وشارلوت.

ينظر عبدالله إلى الأفق والشمس في وجهتها إلى  
المغيب .. لحظات صمت أطبقت على المكان، كأن  
الاثنين استمتعا باللحظة، لم يشأ أحد تعكير صمت  
السحر الذي يلف المكان، يعتقد أن الآخر يبادله نفس  
المشاعر. مستغلة الهدوء، تطلب شارلوت بودّ من

عبدالله السماح لها بوضع رأسها في حجره. كان القرب منه غاية قديمة لها، وها هي تتحقق الآن بشكل شاعري ووديع .

أَخْرَجَ الطلب عبدالله، لكن طريقة الطلب وكبر سن شارلوت جعلاه يرضخ للمطلوب .. كانت في محاجرها بداية سيل دموع حزينة. لم يكن يعرف مصدرها. يبدو أن الصمت جلب الحزن معه.

وهي تضع رأسها الدافئ في كنفه وهو جالس، متصنعاً عدم الاكتراث، ينظر عبدالله أمامه جهة البحر، كأنه يبحث عن موضوع جديد يعيد الحديث إلى مجراه الأول.

ينظر خلسة إليها فاذا بدمعات حريّ بدأت تتساقط من أطراف عينيها.



أصبحت بادية الأسي شاحبة اللون، زاد ذلك من  
ارتباكك وحيرته في التعامل مع الموقف. لكنه بجرأة  
وحذاقة استدل على مكنون داخلها، سألها عما بها  
فقال في كآبة:

-لا شيء.

-هل تشكين الوحدة؟

مستغربة من صحة اجتهاده في تحليل الموقف، وراجعة  
إلى موضع جلوسها بعد أن كانت في حضنه، ردت  
قائلة :

-وكيف عرفت؟

-الأمر لا يحتاج إلى ذكاء. أنتِ في عمرٍ يحتاج المرء  
فيه إلى مؤنس. كلنا نشعر بالوحدة لكن بنسب متفاوتة.

حتى الفرد في داخل الأسرة الكبيرة السعيدة، قد يشعر  
بوحدة تأكله من الداخل.

-لقد نسيت أنك تقرأ في كل شيء، إن القارئ يرى  
الآخر من الداخل .. هل تحب قراءة كتب علم النفس.  
-للغاية، ويا فراط. أجد ميلاً شديداً إلى كتب علم  
النفس ودراسة الإنسان. لو كنت درست تخصصاً غير  
تخصصي العلمي لكان في علم النفس.

-ما الكتاب الذي لفت نظرك في هذا العلم؟

-كنت قد مررت بفترة أنت تعرفينها، وقلت إنك  
ذرفت الدموع عندما شاهدت التسجيلات الخاصة  
بتلك المرحلة. يوم توفيت أمي. لم أطق الحزن في ذلك  
الوقت وارتأيت القراءة في التعامل مع الحزن.

تصفح في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بعض المواقع والمقالات في نفس الشأن، لفت نظري كتاب قديم وضعت مؤلفته أنموذجاً لمراحل الحزن لدى الإنسان. كانت المؤلفة قد عملت مع المرضى الذين ينتظرون الموت بسبب أمراضٍ قاتلة، فأسرعت إلى متجر أمازون وابتعته في اليوم نفسه. قرأته بعد ذلك بنهم.

كان اسمها إيزابيث كوبلر روس، وعنوان الكتاب "عن الموت والوفاة".

اعتمدت في كتابها خمس مراحل يتعامل بها الأفراد مع الحزن الناتج عن المصائب العظام.

مرحلة الإنكار والعزلة: "أنا بخير". "لا يمكن أن هذا يحدث لي". "هذا غير صحيح".

مرحلة الغضب: "لم أنا؟". "هذا ليس عدلاً". "من المسؤول؟". "فلان من يستحق هذا ليس أنا".

مرحلة المساومة: "أريد على الأقل أن أتزوج ويكون لي أولاد". "أريد أن أعيش لرؤية أطفالي يكبرون".

"سأفعل أي شيء ليعود الوضع كما كان".

مرحلة الاكتئاب: "سأمت على كل حال". "ما الفائدة من بذل الأسباب؟". "لقد مات من أحب، لماذا أعيش بعده؟". "أريد أن أنهي حياتي". "لقد فقدت الأمل في كل شيء".

مرحلة القبول: "ما حدث حدث، ويجب أن أعيش الحياة كما هي". "سأجد غاية ومعنى فيما أنا فيه".

لا أخفيك سرّاً أن الكتاب حزين جداً، هو عن  
الحزن عموماً، قراءته قد تجلب الحزن للبعض. لكنه  
ساعدني في سبر أغوار نفسي وتحليلها.  
-يااه.

يبدو أن الكتاب كئيب جداً. لا أظني سأفرح  
بقراءته.

-لا، أختلف معك، أنا لا أدعوك لقراءته، لكن  
الأنموذج الذي وضعته مشهور جداً ومتقبل في كتب  
وأدبيات علم النفس.

-بعيداً عن الحزن والدموع.

أنا أعتذر إن كنت قد مزجت هذا المشهد الجميل  
بالحزن وتنبيش الذكريات المؤلمة. إنّ صوت الأمواج  
ومنظر الغروب يكاد يأسر قلبي معك هنا.

لم تفت عبدالله العاطفة المتأججة في معرض كلامها:  
"معك هنا":

-أوافقك الرأي. المنظر هنا يسحر الألباب، والهواء  
له نسيم لا مثيل له.

بهدوء سألته وهي تحديق في عينيه العريبتين المكحلتين:  
-أبدولا .. هل أنت سعيد؟

أجابها بلا تردد:

-نعم، أنا سعيدٌ، إذا فُهِمَتِ السعادة على أنها نسبية.  
انتظر برهة ثم أكمل:

-الذي يصر على إثقال نفسه بالهموم يجد دائماً من  
الهموم معيناً لا ينضب.

-وكيف ذلك؟

-السعادة بشكل عام تبقى نسبية. ففي الكتب من يقرأ التاريخ لا يدخل اليأس إلى قلبه أبداً، وسوف يرى الدنيا أياماً يداولها الله بين الناس. الأغنياء قد يصبحون فقراء، والفقراء ينقلبون أغنياء، وضعفاء أمس أقوياء اليوم، وحكام أمس ربما يصبحون مشردين اليوم، والقضاة قد ينالهم الاتهام، والفلك دوار والحياة لا تقف.

-واو!! من كتب هذا الكلام؟

-كاتب مميز من مصر اسمه مصطفى محمود.

-هذا بُعد جميل تُرى منه الحياة. أعتز أنكم أمة تحوي عقولاً نيرة. الفرق بيننا وبينكم بسيط، وبسيط جداً، نحن نعمل، وأنتم لا تعملون!

-لا أختلف معك، البتة.

انسحبت الشمس وحيدةً مخلفةً مملكتها للظلام الذي  
 راح يمحو بسواده التفاصيل الجميلة لتلك الجزر، تفاصيل  
 الجبال، الغابات، اللون الأزرق اللامتناهي للسماء التي  
 تعانق أفق المحيط. بدأ الليل يرخي سدوله:

-أقترح أن نعود إلى الفندق أبدولاً، فأنا أشعر  
 بالنعاس وأحب النوم مبكراً.

-لنذهب إذاً، أنا أيضاً أحتاج لتجهيز حقائبى الليلة،  
 عليّ أن أتواجد في المطار غداً في الصباح الباكر.  
 -بودي لو سمحت لي أن أرافقك إلى المطار ونجلس  
 قبل صعودك الطائرة في مقهى أعرفه هناك. أريد أن  
 أطلعك على أمر ربما تكون لك به عناية واهتمام.

-ولماذا لا تخبريني به الآن أو في المركبة ونحن في  
 طريقنا للفندق.



-أفضل أن يكون آخر حديث بيني وبينك.  
-كما تشائين .. لن أكرهك على الحديث .. سأنتظر  
حتى الصباح .. هيا بنا ..

\*\*\*\*\*



## 10

مع إشراقة صباح جديد في هونولولو - هاواي،  
الساعة السادسة والرابع صباحاً، يستعد عبدالله بترتيب  
حقائبه لرحلة ربط مكملة، ستقله إلى ولاية أمريكية  
أخرى، قبل أن يعود إلى موطنه.  
يرن هاتف الغرفة ويرد عبدالله:

-مرحباً!

-أهلاً أبدولاً، هذا أنا، هل جمعت كل حقائبك؟

-نعم، والآن أستعد لمغادرة الفندق نحو المطار.

-ممتاز. بعد ساعة سأتصل بك لأخبرك بمكان اللقاء

في المطار، لن تخطئ المكان.

إنه المقهى بين بائع الزهور ومتجر اللباس التقليدي

لسكان هاواي.

-أعتقد أنني أتذكره. أراك هناك إذاً.

يتصل على الاستقبال للحصول على مساعدة في نقل

الحقائب إلى سيارته.

حقيبة واحدة تخصه، والبقية كلها حقائب تحوي هدايا

لأسرته.

في طريقه إلى المطار، يفكر عبدالله، يا ترى، بماذا ستحدث شارلوت. لا يمكن أن تكون هناك أسرار أكثر مما أفشت له.

هو بالنسبة لها كتاب مفتوح .. حتى أصبح يشعر وكأنه متعرِّ تماماً أمامها.

يدير المذياع فيستمع إلى موسيقى هادئة على إذاعة محلية، يستغرق معها في التفكير. يعيد النظر في كتاب حياته. غريب هو الإنسان، مهما أنجز ومهما فعل، يظل دائماً مشغولاً مستغرقاً في مشاغله .. يعيد تقييم إنجازاته .. يتخيلها مسجلة بالصوت والصورة، على شكل مقاطع، تماماً كما أوردت شارلوت بطريقة الأرشفة التي تتبعها أجهزة الأمن الأمريكية.

يستذكر المراحل المهمة التي مر بها .. عتبات علمية  
تخطاها .. متاعب وصعاب اجتازها .. كل ذلك يصغر  
شيئاً فشيئاً مع تقدمه في السن.

رحلة الحياة تبدو قصيرة كلما اقترب الفرد إلى أُرذل  
العمر.

يصل إلى المطار، يسلم المركبة إلى وكالة تأجير  
السيارات، ويأخذ الحقائب جمة تسليم الأمتعة والتذاكر.  
ينتهي من إجراءات الشحن ويذهب إلى المقهى الذي  
ذكرته شارلوت، بجوار بائع الورود، متشوقاً إلى حديث  
نهائي ممتع يودعها به.

يجلس إلى طاولة مريحة انتقاها بعناية. يخرج اللوح  
الإلكتروني ليتصفح الشبكة ويقرأ الأخبار، أجل ما

يروم طلبه من المقهى حتى تصل شارلوت ويتناولوا  
إفطاراً خفيفاً.

مضى من الوقت عشرون دقيقة شعر أنها أطول بكثير،  
فما لبث بعد ذلك حتى رأى شارلوت من بعيد باتجاه  
المقهى ..

حيته من بعيد، وهو بدوره رد التحية، ثم استقبلها  
عند مدخل المقهى، ودعاها إلى حيث يطلب لها وله ما  
يشتهيان.

جلسا معا، في انتظار تجهيز الطلب، واعترف لها بأنها  
أحدثت إثارة غير عادية في رحلته هذه، وأنه رغم ما  
باحث به من كلام، وكشفت له من أسرار، سعيد  
جداً بالتعرف عليها.

في هذه اللحظة، وجدت شارلوت نفسها في موقف أصعب مما توقعت، لأن ما تريد قوله أعظم بكثير مما جرى ودار في اليومين الماضيين.

نادى البائع عبدالله، لجلب ما تم طلبه في طبقين، تسلم الطلب، وشرع الاثنان في تناول الطعام، كلاهما متوتر من الداخل، لا يعرف كيف يبدأ الحديث، بادرت شارلوت ممهدة لحديثها:

-ما الذي تتوقع أن أحدثك به؟

-لا أعرف، ربما عن أشياء تعرفها أجهزة

الاستخبارات والتلصص لا نعرفها نحن العامة؟

-إن ما أود أن أحدثك به ليس بالأمر العام.

-يخصني إذًا؟

-نعم.

-تفضلي.

-آآه. في الحقيقة !!

قد يكون الأمر صادماً بالنسبة لك، لكنه حقيقي

وقد تأكدت منه بنفسني.

يبتسم عبدالله بشغف مخفي، متماسكاً ومتخوفاً في

الوقت نفسه. الأمر يخصه.

-ماذا عساه أن يكون؟

تستجمع شارلوت شجاعته مقرررة البوح لهذا الرجل

الذي أحبته أكثر بعد أن اكتشفت حقيقته الطيبة عن

قرب:

-بجيلة لا تعرفها، وأنا أيضاً لم أستطع التوصل إلى

كيفية فعلها، لكنني اطلعت على نتائجها فقط. بخديعة

يغيب عنك إدراكها، يوجد لك ابن غير شرعي في



الولايات المتحدة، وأنت لا تعرف، تربي مع أسرة وفي بيئة أعدت خصيصاً لأجيال استخباراتية قادمة، تربيهم وحدات متخصصة في تربية وتهيئة أجيال استخباراتية، تشرف عليهم بدءاً من الولادة، وحتى مراحل الشباب.

ألقت كل ما لديها دفعة واحدة، ثم تنهدت بارتياح، كأنها ألقت حملاً ثقيلاً، في الوقت الذي بدا فيه عبدالله مذهولاً:

-ماذا تقولين؟ كيف ذلك؟ كيف يكون لي ولد غير

شرعي؟

صدقني أنا كذلك لم أكن أعرف كيف، لكنه

يشبهك كثيراً، لقد رأيتته بعيني هاتين. لم أعرف الحيلة

التي فعلوها. إنه نسخة طبق الأصل من ولدك، ومنك،  
من شخصيتك، وقسماتك.

يقاطعها عبدالله وكأنه يهذي:

-أنتِ تمزحين؟ لا بد أنكِ...؟ أنتِ تخادعينني أليس

كذلك؟!!

-لا لا، صدقني.. لا ألومك في كل ما تقول.. لكنه

فعلاً ابنك ولم أعد أملك الصلاحيات والتصاريح التي

تؤهلني لتقصي الحقائق بطريقة أكثر دقة.

تُخرج شارلوت في هذا الوقت مقطعاً من هاتفها الذي

للابن، وهو يتحدث في مكان يبدو ككافتيريا داخل

مدرسة ثانوية، مع أصدقاء له.

ما خالف شبه أبيه، والسمة سمة أخيه. يتابع عبدالله

المقطع وهو يشعر بسريان تيار كهربائي في جسمه،

مشدوداً وقد بدت على وجهه بدايات رد فعل عنيف،  
 ينبئ بحدوث أمر جلل. بصراخ مع وقوف، احمر وجهه  
 كالشطة، واعتزته رجفة من الرأس إلى أخمص القدم،  
 ينتفض:

-غير صحيح .. هذا عمل استخباراتي قدر، تريدني

أن أصدقه .. مستحيل .. مستحيل..

هنا وقفت شارلوت كالتمثال متحجرة من الرعب..  
 خشيت من تفاقم الأمر فلم تكمل إفطارها، وسارعت في  
 ترك المكان هاربة إلى جهة الخروج .

ذهبت فزعة، وهي لا تلتفت إلى الخلف .. وتركته في  
 المقهى وحيدا..

وكما ظهرت بشكل فجائي في رحلته هذه، اختفت من  
 أمامه في الدقائق الأخيرة فجأة، إلى جهة غير معلومة.

جلس بعدها رامياً بنفسه على أريكة المقهى ، يستجمع قواه ممارساً ضبط النفس عند الغضب، يظهر على جبينه تقطيب وأثر انزعاج، بينما رواد المقهى ينظرون إلى ردة فعله غير المتزنة، واجمين كأن على رؤوسهم الطير، متسائلين:

ماذا قالت المرأة التي ذهبت للتو لهذا الرجل!!!  
 كما بدأت معه، تركته محملاً بالكثير من التساؤلات التي يقف عليها .. استفهامات أخطر بكثير مما سبق. كيف يعيش المرء بسلام وهو يعرف أن ولداً له يعيش في عالم مليء بالظلام، ولا يعرف كيف خرج هذا الولد إلى العالم!؟

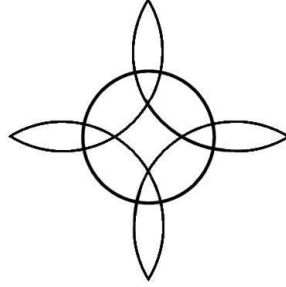
مدركا بيقين أنه لم يعاشر ديننا معاشرة الأزواج!

تعلن خطوط الطيران التي تقل عبدالله على متنها استعدادها لاستقبال الركاب، ينظر إلى حقيبة الحاسوب الجلدية الخاصة به، يضع فيها اللوح الإلكتروني، ويهم مغادراً باتجاه البوابة الخاصة برحلته.

رحلة العودة إلى الوطن قطعاً - هذه المرة - لن تكون كسابقاتها .. موقنا بعظم الموقف، وعارفا حجم المصاعب التي ستواجهه إذا ما قرر تفصي الحقيقة .. يقرر دراسة الموضوع من كل جوانبه، مستغلاً رحلة العودة إلى الوطن والتي تستغرق أكثر من 20 ساعة، قبل الولوج في أية خطوة يمكن أن يخطوها.

انتهى

تمت بحمد الله وتوفيقه  
د. عايض حمد عبدالله القحطاني



دولة الكويت

25 فبراير 2017

[www.ayedh-alqahtani.com](http://www.ayedh-alqahtani.com)